

تضخم

في العديد من المرات اثّرنا في هذا الركن من مجلة « قصص » قضية الربط بين الانتاج القصصى التونسي المعاصر وبين استغلاله في القطاع السينمائي ، وإن أهمية تلك القضية وصلتها بالانتاج القصصى نعتبرها قضية مهمة واكيدة . ولهذا لا نرى مندوحة من العودة اليها ، وتكرار الكلام منها ما دمنا لم نخط الخطوات الإيجابية نحو تحقيق ما دعونا اليه ، او حتى الوقوف على معرفة إمكانية او عدم امكانية ذلك .

وقد قام بعض أعضاء نادى القصة بسنيرة بعض القصص التونسية ونشرها على صفحات هذه المجلة في السبعينات ، وتطلّعنا الى ردود الفعل من هذا الجانب او ذاك . فكانت السلبية هي الغالبة للأسف الشديد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويبقى السؤال المطروح هو : هل توجد سيناريوهات تونسية ؟ واكثر من ذلك السؤال : هل توجد سينما تونسية ؟ ومهما كانت الاجابات ، ومهما اختلفت الآراء ، وعددت الاسباب فان الاجابة التى تكاد تكون محل اتفاق الجميع هي الشعور بالنقص الكبير في انتاجنا السينمائي رغم ازدهار الكتابة القصصية دون تقييم او تحديد منا لصبغتها الفنية وقابليتها للسنيرة فعلا .

والذى نطرحه اليوم من جديد يتمثل في ضرورة إدخال حركة خاصة على السنيرة في تونس إما بالتوجه إليها مباشرة وإما بالتوجه الى النصوص القصصية التونسية المتوفرة بحثا عن سيناريوهات تستجيب للرغبة الملحة في سد الفراغ الذى نشعر به جميعا . فهل يتحقق الأمل بالحركة الجديدة التى ظهرت من وزارة الشؤون الثقافية وما تناولته اللجنة المختصة بملف « السينما

التونسية « من مختلف مسالك القطاع المذكور سواء بدرس الإجراءات التطبيقية لتشجيع الفلم التونسي إنتاجا وتوزيعا وتمويلا ، او باعتباره وسيلة تربية وتثقيف بما يواكب التطورات الذهبية والاجتماعية التي أصبح عليها المجتمع .

إن فكرة إحداث « بنك سيناريوهات » ، وتحسس ذلك من الانتاج القصصى الموجود لا تخلو من طرافة ومن جدية . فعسى أن يكون ذلك من أبرز عطاءات وزارة الشؤون الثقافية وعلى رأسها الآن اديب ومفكر وقصاص قبل كل شيء .

إن هذا الباب الذى تطرق فيه مجلة قصص بعض الافكار كان دائما يدعو الى الانارة والتفاؤل فى نفس الوقت الذى يدعو فيه الى النقد البناء فى سبيل عمل هو فى امس الحاجة الى الاخذ بيده .

« قصص »

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

قناعة ما

سحب تجتاح سماءك ، سحب تجتاح سماء المدرسة ، والرعد يختال عبر الجو ، أسد أذنته الوحدة . المطر ينساب ويلور النافذة ، قطع من الحرير تتموج . اليوم الألف وأنت تصارع كل شيء : الطبيعة ، الفقر ، الحرمان ...

القناعة كنز لا يفنى ، يقولها الطفل الاول والثاني والثالث وأنت تستمع إليهم . هذه الأنواء الصغيرة والعيون المتألقة وتعاد الجملة - القناعة كنز لا يفنى - .

لم تر كنزا فى حياتك ، لم تعثر عليه يوما . المطر لا يزال يضرب النافذة ، والسماء ثقيلة هناك ، باهتة اللون لا توحى بشيء .

قلت للطفل الجالس امامك : اعلم أبويك أننى لا أسمح لك بالدخول الى القسم بدون كتاب للقراءة . وأبى الحزن والخوف قبالتك . كانا فتى كان . سقطت الدفعة الاولى ثم الدفعة الثانية . مسحها بكفه الوسخ . نطق بتعثر وتلعثم اشياء تفهمها . نزلت عليك الكلمات كالللكلمات . طفولتك مضت بين البكاء والحرمان ، بين الوسخ والجوع ، بين البطالة وبيع الحلوى أيام الجمعة ، عندما يأتى الزوار الى قريتك الواقعة عند الجبل ، حيث ولى صالح ترفع اليه الشموع وتساق اليه الدراهم . قطع نحاسية كانت تلمع تحت نور الشموع . وكنت تذهب مع أصدقائك فى الليل تتحسسون التراب . وتعلمون المئات والحسينات وتذهبون من حيث أنيتم بتؤدة حتى لا تنفطن اليكم المرأة التى تنام فى الزاوية ولما تكررت سرقاتكم اتفق أهل القرية على وضع شبك حديدي ترمى منه الدراهم والشموع وبه مفتاح لا تستعمله سوى تلك العجوز اليابسة كل يوم جمعة .

القناعة كنز لا يفنى . تذهب كل مساء الى تلك المدرسة ، تشعر بالبرد أيام الشتاء وليس هناك مسخن . تجلس مع المعلمين أمثالك ، وتدرسون البيداغوجيا . تجلس . وفى رأسك هموم كبيرة . تجلس . وهى هناك بعيدة وجميلة لا تنظر اليك أبدا بينما تنظر نحوها مرارا . تستجديها والبيداغوجيا

تصبح علما صعب المراس والامثلة تهرب عن ذهنك وتشعر بصغرك وببلاهتك أمامها .

آنستى .. تفضلى ، ادخلى القسم ، اجلسى أمامى ، وحدثنى عنك ، عن الايام التى تعيشينها وعن الآمال التى تركضين وراءها لعلى اكون معك فأجرى لتحقيقها ، تريد أن تصطحبها أين تذهب ، تريد أن تكون معك دائما ، دائما .
تشعر بالحرمان .

هذا بعض ما تشتتهى .

لم تفكر يوما أنك ستعطى دروسا فى الاخلاق ربما كانت اهتماماتك أخرى ، ربما .

توقف المطر على النزول ، وظهرت السماء اكثر اتساعا بينما اعتلت بعض الطيور الجو ..

تنظر الى حذائك المتقادم ، آه لو تنازل الاسعار حتى جييك ، آه لو تمتد غرة الشهر حتى آخر الشهر . تكون الكتب التى تريد شراءها تملأ المنزل ، تكون الهدايا التى تريد اهدائها كثيرة وثمينة وتكون تؤمن بالقناعة وبالكنوز جميعها . قد لا تؤمن بالدروس التى تلقىها قد لا تؤمن بمحتواها ، دروس بعيدة عنك . تريد أن تمتد الى الطفل الذى أبكتك كلماتك الجافة ، تريد أن تفهمه جيدا .

تريد أن تضع نفسك موضعه . منزل قديم به جيران كثيرون ، يتقاطر الماء من سقفه عندما تمطر السماء ، وتضع الأم السطل ، فتحدث القطرات صوتا يكاد يكون موسيقيا لتلاحق القطرات .

تنور . تنور . والمال قليل . بين يديك . اليوم ستذهب الى الصكوك البريدية . تأخذ فى يدك مائة وأثنى عشر دينارا .

تنظر من النافذة والصمت يحيط بالفصل ترى ذوائب الاشجار تميل قليلا مع الريح الشتائية ، تحس بها تهفت .

تشعر بالحرمان .

اليوم هو آخر الشهر وماهيتك لا تكفيك . ستون دينارا تدفعها للكرء وتبعث بعشرين دينارا الى أبيك فتفرح أمك وتشترى أشياء تحبها . تفكر فى

شراء كراسي ومنضدة لاستقبال أصدقائك أو بعض أقاربك . هذا الشهر الثالث وأنت ترجى هذا المشروع الى ما بعد !

ماذا يبقى ؟... قد لا تأكل اللحم كل يوم ، قد لا تذهب الى السينما كل اسبوع ، قد لا تذهب الى المسرح ، قد لا تشتري كتابا ، قد لا تعيش كما تريد ، قد يكون واقعك مناقضا للحلم الذى تعمل من أجل تحقيقه . تشعر بالحرجان .

تدخن مرارا . تبحث عن مخرج ، تبحث عن دروس خاصة يمكن أن تلقيها على تلامذة السنة السادسة .

منزلك أو بالاحرى المنزل الذى تسكنه يترقب أن يطلى بطلاء نظيف . صاحب المنزل لا يريد أن يدفع مليما ، يأتيك عند آخر الشهر كالعقاب يسلبك . ترحل آمالك معه . اليد العاملة غالبية الثمن والمواد الاولية أيضا . تكره تلك الجدران المبرقة تريدها ذات لون موحد . تريدها نظيفة .

القناعة كنز لا يفنى . سيبقى هل الكنوز لا تنضب ؟ الف ... الكوز ؟ ربما . ربما ...

القناعة كنز .. لا كنوز ، لا تفنى .. تفنى لا .. الكنوز .. قناعة تفنى ... ولا كنوز تنضب ...

تخلصت السماء من السحب ، وظهرت زرقاء فى لون الموج ، وتسلى النور الى القسم فشمسك الدفء . اخذت الطلاسة وجعلت تمحو السبورة ، وكانت الكلمات تنبت فيك أشياء تزول مع حركة الطلاسة ، يهك كثيرا أن يحدث نقص فى مرتبك الشهرى . أجل يهك ذلك الحدث كثيرا .

السبورة خالية من الكتابة ، والقسم يرفل نورا ، وذهنك خال من كل شئ ، يتجه نحو شئ واحد :

الصكوك البريدية ، ببابها الزجاجى ، واكتظاظ الصفوف ، والآمال التى تطوى مع ورقات خضر ، سهلة العد .

نافلة ذهب

الرسم بحوافر الحمار

يأتى الى المعهد كل يوم . يدخل من الباب . يشق الساحة فى اتجاه المطبخ ، وعلى ظهره صاحبه يتوسط عدلين بهما حق ، وصنادين ، واكياس فارغة ..

الحقق والصناديق فى العدلين تحدث وقعا منتظما ينسجم مع خطاه .. أذناه تلتقطان وقع خطاه على الارض .. الطريق التى ترسمها حوافره يتركها خلفه .. يتخيلها .. يتخيل الاقدام التى ستدوسها .. وتشتد به الرغبة لرؤيتها فيتوقف . ويلتفت الى الوراء ، فيلکزه صاحبه بقدميه والطريق تشده .. تلسوى عنقه .. تلتصق بعينه .. الرسم مستقيم . الابعاد والمسافات بين كل حافر وحافر متساوية . حافره فى الارض نصف دائرة . يد صاحبه تحول اتجاه رأسه وعنقه يابى أن يمتد الى الامام . والسؤال يابى أن يفارق رأسه .. :

« .. لم لا ترسم حوافرى دوائر مكتملة ؟! »

<http://Archivebeta.sakhrn.com>

ويهم بالرجوع من حيث أتى لتكتمل الدوائر التى رسم أنصافها بحوافره ؛ فيمنعه صاحبه ، ويجبره على مواصلة السير ، فيسير وأنصاف الدوائر فى رأسه تكتمل .. تشكل معالم الطريق التى يريد رسمها .. ويأمره بالتوقف فيتباطأ فى سيره ثم يتوقف عند باب المطبخ . ويلتفت الى الوراء وصاحبه ينزل من على ظهره ، وينزل العدلين ثم يتجه به الى مكانه ، ويربطه بحلقة موثوقة بالجدار ، وينصرف ..

ويطول غياب صاحبه عنه وهو واقف فى مكانه لا يتحرك .. عيناه فى الجدار .. فى الحلقة .. عبر محيطها يسافر .. يطول به السفر وهو واقف مشدود بحبلين ، حبل قصير بعنقه ، وحبل طويل فى أذنيه يتحرك .. يتسلل .. يمتد .. يتصل بالخارج .. ينقل اليه صدى الاشياء والمخلوقات .. ينقل اليه صوت صاحبه فى المطعم .. صوت العمال .. خرير ماء الحنفيات فى الأحواض .. رزقة العصافير فى شجرة الصفصاف .. وقع أقدام التلاميذ فى

الساحة . ويقبض عينيهِ فترة .. ! ثم يفتحهما على دودة تدب بين رجليهِ .. يتابع دبيبها ببصره وهي ترحف .. تغير طريقها حيث تشاء .. تدور .. وتدور .. وترسم دوائر عديدة ثم تختفي ، وعيناه تحدقان في فراغ يثبت قوائمه في الارض ..! وتكاد رأسه تلامس الارض ؛ فيجذبه الجبل ، ويصفع الجدار وجهه ..!

الجدار قائم في وجهه لا يتحرك ..! الخطوط العمودية والافقية تشد أحجاره .. تشده .. تشد عينيهِ .. تجذبه .. يدنو منها .. يتشمسها .. يرفع رأسه الى السماء .. يكشف عن أسنانه ، وجسمه يلتصق بها .. يحكمها .. تحكه ..! فترقص جلدته ، وتتقلص عضلاته ، وينتفض .. ثم يدور حول نفسه دورتين ، ويتوقف رافعا رأسه ، مباعدا ما بين رجليهِ الخلفيتين .. السائل الاصفر يتدفق من بين فخضيه .. أذناه تنتصبان كطائر يرفع جناحيهِ .. جنباة جناحان يصفقان .. يتسع لتصفيتهما منخراة ، وينفتح فمه ؛ فينطلق من جوفه صوت يتردد صدها في الفضاء ، ويمتزج بصدى صفارة المعهد .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sekhr.it.com>

- التلاميذ يستعدون للانصراف من فصولهم . وصاحب الحمار في انتظار ما سيتركه التلاميذ من طعام على موائدهم في المطعم .

- الطباخ يملأ الصحاف بالمرق ، ومساعدته ينقلها على عربة صغيرة ، يدفعها امامه الى باب المطعم فيتلقاها عاملان آخران ، ويشرعان في توزيعها على الموائد - الحمار ينهق ، وصاحبه ينظف الحقق والصناديق بماء الحنفيات ، ثم يصففها على مائدة طويلة .

- تعود الاواني من المطعم ، فيتلقاها صاحب الحمار ، ويشرع في تفريغها في الحقق والصناديق ثم يجمع فتات الحبز في الاكياس ...

- يرى الحمار صاحبه ينقل أشياءه خارج المطبخ ، ويضعها بجانب العدلين ؛ فتتنشط حركته ، ويحفز الارض بحافره ، وفي صدره هدير يعتدل .. يمتد له عنقه ، ويرتفع رأسه ، فيتصاعد الى حلقه ثم يخرج من منخريهِ خافتا متقطعا ..!

- يسرع اليه صاحبه ويحرره من قيده . ثم يقوده الى باب المطبخ ، ويوثق بظهره العدلين ، ثم يضع فيهما الحقق والصناديق ، ويضع فوقها الاكياس ، ويشدها بحبل طويل ، فيستوى الحمل على ظهره .

.....

الحمار يسير وصاحبه يتبعه .. فى اتجاه الساحة يسير .. يجد فى سيره .. يبتعد عن صاحبه .. ويتوسط الساحة فتتقل خطواته ، ويتوقف .. ويأتيه صوت صاحبه يأمره بمواصلة السير ورأسه ينخفض .. يشم التراب .. يبحث عن أثر لحافر من حوافره .. عن نصف دائرة .. : أقدام مختلفة الاحجام تقع فوق بعضها ، تطمس معالم رسمه .. ! ويهزئه صاحبه ، فتفوص حوافره فى الارض .. يدفعه بيديه .. يضربه .. يجره من ذيله .. يجره من اذنيه والمكر فى عينيه يكبر .. ينصب فى رجليه الاماميتين .. يمتد الى جذعه ويرفعه الى اعلى ؛ فينقلب الحمل وينتشر ما بالعدلين على الارض .. الحقق تتدحرج .. تقذف من جوفها المرق .. المرق يختلط بفتات الحبز .. يمتزج بالتراب وهو يقفز ، يركل الفضاء برجليه الخلفيتين وصاحبه يرتد الى الوراء خائفا .. ورؤوس التلاميذ تطل من نوافذ الفصول ، تصفر وتنهق والحمار يركض فى الساحة ، يرسم بحوافره دائرة كبيرة ، ويتوقف .. ثم يعيد رسمها من جديد فى اتجاه معاكس ، ويتوقف والبخار يصعد من منخريره . وعيناه تنتقلان عبر الدائرة الكبيرة ... ! : الابعاد والمسافات بين حوافره تربطها دوائر مكتملة 1..

اكتمل رسمه ، فارتفع ذيله ، وصفقت اذناه .. واندفع جسده كالسهم فى اتجاه الباب ، تاركا صاحبه فى الساحة ، يجمع اشيائه فى العدلين . ويحملها على ظهره . ومن خلفه صوت يأمره :

.. هيا ..! اخرج من هنا ..! ولن تعود ثانية ..!

ويخرج من المعهد فيلتقاه المعوزون بحققهم الفارغة ، وينصرفون عنه لانهم لم يظفروا منه بشئ .. ولن يبيعهم ما يتركه التلاميذ من طعام على موائدهم %

عبد العزيز فاخت

قصة 25 / I2 / 1981

الساقطة

(إذا كانت فينا قلة تندفع وراء أضواء
الشرفات وراء اندفاعها مأساة لو تعمقنا
درسها لبدت المرأة الشريرة فى الأكثر
ضحية ظلم الرجال) .

بنت الشاطىء

... الغرفة ضيقة ، جوها خائق تتخلله رطوبة بغيضة ، تفوح منها رائحة
كريمة نفاذة ، بها سرير حديدى قديم لا يرتفع عن الأرض الا قليلا وخزانة
ملابس متواضعة ومقعد ومنضدة صغيرة يغطيهاو مفرش مطرز جميل عليها
استقرت صورة شمسية ملونة لصاحبة الغرفة يحتضنها اطار معدنى .
حولها اصطفت بعض أدوات التجميل وزجاجات العطر . وعلى الجدران علقت
بعض اللوحات تمثل نساء عازيات فى اوضاع مثيرة فاضحة .

جلست هى على السرير فأخذت المقعد الوحيد بالغرفة وجلست انا فى
مواجهتها مأخوذا بجمالها الصارخ وأنوثتها المتدفقة قائلا بينى وبينى نفسى :

« حرام ان يلوث هذا الجمال ! » .

وأفقت من شرودى على صوتها الساحر النغم وهو ينساب الى مسمعى -
فى رقة ونعومة - انى لم ادرك هنا من قبل ولكنى برغم ذلك أرجح بانك لست
غريبا عن هذه المدينة فلهجتك وبشرتك السمراء تؤكدان ذلك ولكن كيف
يمكن ان تكون من أبناء المدينة ولا تأتى لزيارتنا كغيرك من الشباب ولو على
فترات متباعدة خاصة وانت فى مثل هذه السن التى تنمرّد فيها الفرائز
وتلغ الرغبات ؟ أم تراك متزوجا ؟ ولكن هل يعقل أن تكون متزوجا وانت
ما تزال فى هذه السن المبكرة ؟ .

قلت وأنا أعجب من فطنتها وصدق فراستها :

- الواقع أنا من أبناء هذه المدينة أما لماذا لا أحضر الى هنا كما يفعل غيرى من الشباب فليس معنى ذلك أنى متزوج فأنا لم أتزوج بعد وانما هى طبيعتى المميزة وفلسفتى الخاصة فى الحياة وان أنا ترددت على داركن الليلة فأننى لم افعل ذلك سعيا لتحقيق ذلك الغرض الذى يأتى بعضهم الى هنا من أجل تحقيقه .

ونظرت الى فى سكون كانما هى فى شك مما اقول ثم سألتنى فى فضول :

- هل لى أن أعرف سبب حضورك اذن فقد أساعدك ؟ .

- الحقيقة ، لقد كنت امهد منذ زمن بعيد الى الاجتماع بواحدة منكن تدفعنى الى ذلك رغبة ملحة هى محاولة الكشف عن الاسباب الحقيقية التى أدت بمثلك الى السقوط ودفعت بك الى طبق الغواية والاثم وأنت ما تزالين فى عمر الزهور وسبل العمل الشريف مفتوحة أمامك !
ونظرت الى فى دهشة ورددت فى صوت حزين

- لقد حضرت الى هنا اذن لتتعرف على قضيتى او قصة أى واحدة تشاركنى هذه الحياة الكريهة الملوثة ؟!

وسكنت قليلا ثم عادت تقول :

- حسنا سأقص عليك حكايتى وان كانت الذكرى تثير فى الالم الدفين .

وتأوهت من قلب يتعذب ثم استوت فى جلستها ومضت تقول :

- كان ذلك منذ خمس سنوات مضت عندما كنت فى السابعة عشرة من عمري أقطن وأسرتى المكونة من أبى وأمى واخوتى الثلاثة الصغار منزلا صغيرا متواضعا بأحدى ضواحي « تونس » . كان أبى يشتغل فى مخبزة لآحد الاثرياء . أما أمى فكانت تقوم بغسل الثياب لبعض الاسر « الراقية » وكان دخلهما القليل من عملهما هذا لا يقوم بسد جميع حاجيات الاسرة الضرورية . لذلك كانت حياتنا سلسلة من المتاعب أما أنا فكان على منذ ان انقطعت عن المدرسة بعد احرأى الشهادة الابتدائية ان الازم البيت

لأساعد والدتي على تصريف شؤونه ولأقوم على تربية اخوتي والعناية بهم .
وغير بعيد من منزلنا كان يقوم منزل فخم تحيط به حديقة غناء على ملك
أحد الوجهاء هو السيد حسن حمدي ، وللسيد حسن حمدي هذا عدة أبناء
أكبرهم يدعى لطفي في الخامسة والعشرين من العمر يعمل مدرسا بمدرسة
الحي الابتدائية . أذكر أنه طرق باب منزلنا أول مرة عندما جاء يطلب من
والدي القيام ببعض الأعمال أظنها كانت تتعلق بشؤون حديقة البيت ،
ومنذ ذلك اليوم أخذ يتردد على منزلنا في فترات متقطعة للسؤال عن
أحوالنا ومساعدتنا عملا بأداب الجوار .

وبمرور الأيام أصبح صديق الأسرة - وقد ظفر بحبنا واحترامنا جميعا -
وتتوالى الأيام ويتابع لطفي زيارته لنا ويستمر كل شيء فيه كما هو عدا
تلك النظرات التي كان يوجهها إلى من حين لآخر كلما ضمنا مجلس .
وبمرور الأيام استطعت أن أصل إلى فهم ما كانت تمنيه تلك النظرات أن
لطفي يحبني ، ما في ذلك ريب ، ومنذ ذلك اليوم الذي آمنت فيه بهذه
الحقيقة أصبحت نفسي ميدانا لصراع رهيب أبطاله الخوف والحيرة
والتردد والحب جميعا .

... وذات مساء وبينما كنت أقوم ببعض شؤون البيت ، طرق باب
المنزل وكان لطفي هو الطارق . وبعد أن سلمت عليه أعلمته بأنني وحيدة
بالمنزل حتى لا يفكر في الدخول لكنه لم يفعل ودخل من غير تردد كأنه
لم يسمع مقالتي . وبينما كان الخوف يعصف بي والحيرة تهز كيائي وأنا
أصعبه إلى الداخل ، كان هو يعترف لي بحبه ويتحدث إلى عن آماله
وأحلامه . ويتوسل إلى بأن أصارحه بحقيقة مشاعري نحوه ، ويزداد الأمر
تعقيدا بالنسبة إلى ، فلم أدر ماذا أفعل أو ماذا أقول . لقد أذهلتني المفاجأة
ومضيت أحلق فيه في بلادة وجمود ويبدو أن سكوتي قد لاقى هوى في
نفسه فمضى يقترب مني في سكون تتقدمه أنفاسه المحمومة ، وبينما
كان يحاول أخذني بين ذراعيه القويتين في رغبة مجنونة جامحة كنت
أصيح به في فزع واستنكار بعد أن خلصت نفسي من بين ذراعيه :

- ويحك يا سيد لطفي ماذا تريد أن تفعل بسى ؟

ويتراجع في ارتباك وفي كلمات مضطربة يعتذر لي عما بدر منه فأعرض
عنه وقد شغلت عنه بما اعترائني من خوف واضطراب ، ويضسى يلح في

الاعتذار ، ويودعنى وينصرف مكررا اعتذاره الى ولا يمضى طويل وقت حتى تعود والدتى من الخارج حيث كانت فى زيارة احدى قريباتها . فأعمل جاهدة على أن أبدو طبيعية امامها . وتسالنى وهى تتخلص من ملاتها القديمة عن اخوتى فأخبرها بأنهم أوا الى مضاجعهم فى ساعة مبكرة بعد ان تناولوا طعامهم وتسالننى عن والدى فأخبرها بأنه لم يرجع بعد . وتسالنى طويلا عن أشياء كثيرة تافهة كما هى عادتها دائما كلما تغيبت عن البيت ولو لفترة قصيرة ثم تطلب منى فى النهاية بأن أحضر العشاء فأفعل ، وحول الطعام أجلس معها وأنا أشعر بضيق شديد وأتناول لقيمات قليلة ثم أنهض مدعية الشبع .

وتسالنى عما بى فأخبرها بأنى أشعر بصداق حاد فتشير على بتناول قرصين من « الاسبرو » فأوهمها بأننى سوف أفعل وأشعر برغبة ملحة الى الوحدة والانفراد فأعتذر اليها عن عدم استطاعتى البقاء معها حتى موعد عودة أبى كما هى العادة فتتصمح لى من ناحيتها بالنوم مبكرا .

وأحببها وانصرف الى غرفتى وبين احضان سريرى الصغير العتيق أدخل الى نفسى وأمضى استعيد فى نشوة غامرة صورة ذلك اللقاء المشبوب الذى جمع بينى وبين لطفى منذ حين . ويقف بى الخيال عند الصورة التى حاول فيها أخذى بين ذراعيه ، وتهتز كل عضلة فى جسدى وتتلاحق دقات قلبى فى سرعة وعنف ، لقد حاول أن يقبلنى لكنى صددته فى بلاهة وغباء ليتنى لم أفعل ولكن أى شيء هى القبله يا ترى ؟ ما طعمها ؟ ما اثرها ؟ ماذا كان سيحدث لى لو سمحت له بتقبيلى ؟ وهكذا قضيت شطرا من الليل فى تساؤل عذب وتخيل محموم ، وأحسست بالحب يغزو قلبى الصغير لأول مرة . نعم لقد أحببت لطفى ، أحببته بكل ما فى كلمة حب من معنى ، انه الرجل الوحيد الذى بيده تغيير مجرى حياتى وانتشالى مما أنا فيه من شقاء وحرمان .

وفى ساعة متأخرة من الليل أحسست بالنوم يدب الى اجفانى ، وفى خيالى صورة جميلة زاهية تجمعننى ولطفى فى مكان عبرى السحر والجمال وأنا كاسمد ما تنام فتاة فى عيد ميلاد جها الاول . وتتوالى الايام ... ويعود لطفى الى ملاحظتى بحبه من جديد ... كنا نلتقى بمنزلنا اول الامر

وبمحضرة أفراد الاسرة حتى كان لقاء اعمه فى لحظة تسرع واندفاع
بالاجتماع به فى حديقة منزلهم مساء أحد الايام .

وتتوقف محدثتي عن متابعة رواية قصتها وتمضى تنطلق فى سرود الى
بعيد وفى عينيها أسى ودموع ثم تعود الى سرد حكايتها فى صوت متقطع
حزين ، وهى تنطلق الى أرض الغرفة كأنها تنقب فيها عن صور الماضى
وذكرياته الراسخة فى أعماق الزمن :

— كانت ليلة ساحرة حلوة الانسام من ليالى الصيف الجميلة الحاملة
لكنها بالنسبة الى كانت شديدة الحرارة خانقة للانفاس عندما كنت اجلس
على حافة السرير فى حيرة وقلق اتطلع فى ارتباك الى عقارب الساعة
الموضوعة على جدار النافذة وهى تدور مقتربة من الساعة العاشرة . ويحين
الموعود وأتردد قليلا قبل ان اخطو اولى خطواتى الى خارج الغرفة ،
واتشجع فى النهاية فاطفىء النور واوصد باب الغرفة فى عدوئ واسير فى
خطوات حذرة مضطربة .

كان السكون يخيم على المنزل بشكل اثار اعصابى وزاد من ارتباكى ،
وفكرت فى العودة الى غرفتى لكنى لم افعل ، ومضيت اجتاز العمر المظلم
ودقات قلبى تتلاحق فى قسوة وعنف تدفعنى الى المسير قوة خفية ، وافتح
الباب الخارجى واوصده فى رفق بعد ان اتأكد من وجود مفتاحه معى .
وفى الشارع المضاء مشيت متعثرة الخطوات شاردة النظرات ، ويتوقف بى
المسير عند سور الحديقة الحجرى القصير ، وأتردد مرة قبل أن اقفز عبر
المجهول ، وفى حيرة وارتباك مضيت أشق طريقى بين الاشجار ووصلت
فى النهاية الى شجرة التين الكبيرة التى اتفقت مع لطفى على اللقاء عندها .
والفيتة واقفا فى انتظارى وتقدم منى ووقف فى مواجهتى وفى رقة قال لى
وهو يحاول احتوائى بين ذراعيه :

— شكرا لك يا حبيبتي لقد كنت واثقا من حضورك .

ورددته فى رفق ، وجلسنا فى سكون وبعد فترة صمت قصيرة مضى
يسألنى عن الاسرة والجيران فكنت أجيب عن أسئلته فى اقتضاب أول الامر
ثم ما لبثت بعد ذلك ان اخذت أجيبه عن كل سؤال يوجهه الى بكثير من

الافاضة والشرح بعد ان عرف كيف يجعلنى آنس اليه واستريح لوجودى بجانبه فى ذلك المكان الغريب وفى تلك الساعة المتأخرة من الليل .

ويتنقل من السؤال عن الاسرة والجيران الى الحديث عن الليل والطبيعة والحب ، ويتحول من مكانه ويجلس الى جانبى مواصلا حديثه فى صوت اقرب الى الهمس ، وأحس بكتفه العريضة تلامس كتفى وأنفاسه المحمومة تلمح وجهى وأشعر برعشة خفيفة عذبة وامضى أوصل الاستماع اليه فى لذة وشغف ، وفى حركة سريعة جريئة يجذبني اليه وينقض على شفتى فى قبلة محمومة عاصفة . واحاول المقاومة والافلات من بين يديه ، واحس بجسدى يحترق بتلك النار الخالدة بينما مضت يده تزحف الى صدرى فى رغبة واصرار ، وفى ساعة متأخرة من الليل عدت الى المنزل شاردة اللب مضطربة القلب متوترة الاعصاب تعصف بى قوى الخوف والالام والندم فى قسوة ووحشية .

ومرت الايام وانقطعت زيارات لطفى لمنزلنا وبقيت وحدى ضحية شكوكى ومخاوفى وعلامات الاستفهام تقض مضجعى : هل غرر بى ؟ ولكن كيف يهجرنى على هذه الصورة بعد الذى حدث بيننا ؟

وذاث مساء وبينما كنت أقف وراء نافذة المطبخ المطلة على الشارع رأيته يتمشى فى الحديقة فتركت موقفى من النافذة واسرعت اليه بعد ان استأذنت والدتى فى الخروج بحجة الذهاب الى منزل احدى صديقاتى الذى لا يبعد عن منزلنا كثيرا زاعمة لها ان تلك الصديقة قد حضرت الى منزلنا منذ بعض الوقت ودعتنى لزيارتها حتى ترينى اللحاف الذى فرغت من تطريزه حديثا . وعلى مقربة من لطفى وقعت فى اضطراب دون ان ينتبه لوجودى وفى صوت خافت مرتجف هتفت به :

- لطفى .. لطفى .

فالتفت الى فى ارتباك وصاح :

- ماذا تفعلين هنا ؟ ماذا تريدين ؟

وأحسست بكلماته تصفعنى فى قسوة وعنف وفى صوت متلثم ذليل مضيت أقول له فى توسل ورجاء :

- انى قلقه يا لطفى ... لم تات لزيارتنا كل هذه المدة ؟ .

وفى صوت جاف قال :

- هدنى من روعك يا صديقتى فليس هناك ما يدعو للاضطراب .

.. رباه كيف تتغير الاوضاع بكل هذه السهولة والسرعة فأصبح صديقة للطفى بعدما كنت بالامس القريب حبيبته ومعبودته وزوجته المنتظرة ؟

قلت وأنا لا اكاد اصدق ما يترامى الى مسمعى وقد استبد بى اضطراب شديد ومضت دقائق قلبى تتلاحق فى سرعة وعنف :

- افصح يا لطفى انى لم افهم ما تقول ؟ .

ويقول وهو يتطلع فى ضيق الى ساعة معصمه ذات الاطار الذهبى :

- ان علاقتنا يجب ان تنتهى عند هذا الحد .

وفى صوت تخنقه العبرات قلت وأنا اكاد أقح على الارض من فرط خيبتى والذى :

- ماذا تقول يا لطفى ؟ هل نسيت ما حدث بيننا ؟ وهل نسيت وعدك لى بالزواج ؟ .

وفى صمت أقرب الى الزمجرة صاح بى قائلا وهو يقترب منى مهددا :

- قلت لك ان كل شىء بيننا قد انتهى .

وسكت قليلا ثم عاد يقول فى لهجة أمرة :

- وانى أحذرك ، من محاولة مقابلتى أو التحدث الى بعد الآن والا كان لى ...

وأشعر بما يشبه الدوار ويعرق غزير بغمر بدنى ويدق قلبى فى سرعة وتضيق أنفاسى واحس بأنى اختنق ، وفى تهيج وانفعال أمضى أسببه وأشتمته وأتوعده وأذكره بوعوده ولكن دون جدوى ويستمر على موقفه لا يلين . فأمضى استعطفه وأتوسل اليه لكنه يتركنى مكاني وينصرف وتهتز كل عضلة فى جسدى ويتنابنى احساس عاصف مدمر باليأس

والندم والنقمة والخوف جميعا . وافكر فى اللحاق به لكننى اقلع عن ذلك خوفا من الفضيحة وأعود ادراجى الى البيت دامعة العينين محطمة القلب .

وفى غرفتى المعتمة مضيت أثقل فى الفراش فى قلق والم افكر فى حاضرى المشوه الجريح وغدى المظلم المجهول باحث فى أمل يائس كسيح عن حل لمشكلتى . هل اخبر أمى بالحقيقة ؟ ولكن أية فاجعة انقل اليها ؟ وان انا فعلت فانها ولا شك سوف تخبر والدى بالامر . واذا كان أبى رفيقا بى ولم يسارع بقتلى فسوف يذهب الى والد لطفى ويطلعه على جلية الامر ويطلب منه اعلان خطبة ابنه على واذا لم يوافق السيد حسين حمدي على طلبه فان والدى سيضطر الى عرض القضية على المحاكم ولكن اى عار سيلتحق بنا عند ذاك !

.. رباه اننى لا استطيع أن أتصور ذلك .. اذن لم يبق أمامى الا الانتحار ! ولكن انتحارى قد يؤدي الى نفس النتيجة ان لم يؤد الى نتائج أكثر خطورة . لم يبق اذن الا قتل لطفى ؟ وقتله لن يغير من الحقيقة شيئا وقد يفضى بى ويأسرنى الى أشد نهاية قتامة وأكثر بلاء . وفى ساعة متأخرة من الليل استسلمت للنوم بعد ان انتهيت الى حل ميسور التنفيذ مجهول النتائج . وفى الغد ، وفى غفلة من والدتى حزمت بعض امتعتى وأخذت معى ما كنت وفرتة من نقود قليلة وارتيديت ملاءتى وغادرت المنزل والالم يمزقنى ومضيت أسرع الخطى كأن اشباحا خفية تطاردنى . وهكذا فررت من المنزل الذى ترعرعت بين جدرانها وهجرت الاسرة التى وهبتنى الحياة والحنان والحب وفى فؤادى لوعة وفى عيني دموع .

وركبت سيارة اجرة ومضيت الى المدينة الكبيرة التى طالما ذهبت اليها من قبل صحبة أبوى أو أحدهما . ومضيت اجوب شوارعها وأطرق أبواب المنازل بها واحدا بعد آخر فى خجل وحيرة وتردد باحثة عن عمل . طرقت أبواب عشرات المنازل دون جدوى وقبل الغروب بقليل وفقت الى

الحصول على عمل باحد للبيوت كخادمة ، وما هي الا اسابيع قليلة حتى تركته فرارا من مضايقات ابن الاسرة الشاب لى . وهكذا كلما وفقت الى عمل تركته بسبب تلك المضايقات فالكل يريد جسدى وقاومت طويلا وانهارت مقاومتي فى النهاية وسقطت بعد ان استنفدت منى الايام كل قوة على الصمود والمقاومة .

وسكنت محدثتى قليلا ثم تابعت تقول فى صوت متهدج حزين وهى تتطلع الى فى انكسار :

- قبل ان تتركنى ارجو ان تعلم بانك انسانة مظلومة ضحية غدر رجل من بنى جنسك ، ان الرجل هو الذى ساقنى الى حياة الاثم والانحراف . لكن المجتمع هذا العجوز الغبى لا يريد ان يعترف بذلك ولا يتورع عن اتهام المرأة وحدها بالسقوط والضلال .

محمد الخموسى الخناشى

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بقلم : إرنيسست هيمنفواي

ترجمها عن الانجليزية : عبد الله فاضل فارح

عشرة هنود حممر

بعد قضاء أحد أيام الرابع من يوليو ، كان « نيك » يعود الى منزله من المدينة في ساعة متأخرة في عربة خيل كبيرة بصحبة جو غارنر وأسرته . مروا بتسعة من الهنود الحمر على فترات في أثناء الطريق . تذكر أنهم كانوا تسعة لأن جو غارنر ، في أثناء سياقته للعربة في العتمة كبح الخيل ، وهبط واثبا الى جادة الطريق . ثم جرجر هنديا أحمر من مجرى العجلة . كان الهندي غارقا في النوم منكبا على وجهه في الرغام . جرجره جو الى بين الشجيرات . ثم عاد وترجع على مقدمة العربة .

قال جر : « وهذا يتم عددهم تسعة ، مجرد ما بين هنا وطرف المدينة » .

قالت السيدة غارنر : « أولئك هم الهنود » .

كان « نيك » في المقعد الخلفي بين والدي غارنر وكان يلتفت متطلعا من المقعد الخلفي ليرى الهندي حيث سحبه جر بمحاذاة الطريق .

تساءل كارل : « هل كان يبلي تيشر ؟ » .

لا .

بدت سراويله منتفخة « مثل سراويل يبلي » .

كل الهنود يلبسون نفس الصنف من السراويل .

قال فرانك : « لم أره البتة ، هبط أبي الى جادة الطريق وقفل فصعد قبل أن أرى شيئا . ظننت أنه كان يقتل ثعبانا » .

قال جو غارنر : « أضمن أن كثيرين من الهنود سيقتلون ثعابين الليلة » .

قالت السيدة غارنر : « أولئك هم الهنود » .

واصلوا ركوبهم . انحرف المسار من الطريق الرئيسي مصعدا خلال التلال . كان جر العربة عسيرا على الخيل فترجل الاولاد وساروا على أقدامهم .

كانت الطريق رملية . التفت « نيك » الى الخلف مصوباً بنظرة من قمة التل عند مبنى المدرسة . رأى أضواء مقر فريق بيتوسكي ، وعلى مبعدة عبر « الخليج المتعرض الصغير » رأى أنوار « ينابيع الميناء » . عاد الاولاد الى ركوب العربة .

قال جو غارنر : « لا بد من أن يفرش هذا الامتداد ببعض الحصى » . استمرت العربة تواصل سيرها على الطريق خلال الغابات . جلس جو والسيدة متلاصقين على المقعد الامامي . جلس « نيك » بين الولدين . أدت الطريق الى قاع براج .

– ها هنا حيث داس ابونا بالعربة ظربانا .

– على مسافة أبعد في الامام .

قال جو دون أن يلتفت : « لا فرق أين يكون المكان . كل مكان يصلح كغيره لأن يداس ظربان » .

قال نيك : « رأيت ظربانين الليلة البارحة » .

– أين ؟

– في الأسفل بجانب البحيرة . كانا يبحثان عن السمك الميت على طول الساحل .

قال كارل : « يحتمل أنهما كانا راكوبين » .

– بل كانا ظربانين . أحسب أنني أعرف الظربانين .

قال كارل : « لا جدال في ذلك ، إذ أن لك حبيبة هندية حمراء » .

قالت السيدة غارنر : « أوقف الحديث بتلك الطريقة ، يا كارل » .

– حسنا ، لكن الظربانين والهنود الحمر تكاد تكون نفس الشيء .

ضحك جو غارنر .

قالت السيدة غارنر : « وأنت يا جو ، أوقف الضحك ، لا يعجبني أن يتحدث كارل بتلك الطريقة » .

قال جو متسائلا : « هل لك حبيبة هندية ، يا نيكى ؟ » .

– لا .

قال فرانك : « بل له حبيبة هندية ، يا أبى ، برورانس ميتشل حبيبته » .

– ليست حبيبتي .

– يذهب للقائها كل يوم .

– لا أذهب للقائها .

شعر نيك بخفة وسعادة تملآن دخيلة نفسه بأن يعاين بذكر برورانس

ميتشل . وقال وهو يجلس بين الولدين فى الظلام : « هى ليست حبيبتي » .

قال كارل : « اصفوا اليه . أراهما معا كل يوم » .

قالت أمه : « كارل يعسر عليه العثور على فتاة . ليس حتى هندية حمراء » .

قال فرانك : « لا ينفذ كارل مع الفتيات » .

– اسكت أنت .

قال جو غارنر : « إنك على خير ما يرام هكذا ، يا كارل ، من أين للفتيات

أن يعثرن على رجل فى أى مكان . اقتد بأبيك » .

قالت السيدة غارنر وهى تتحرك ملتصقة بجو عندما ارتجت العربة :

« نعم ، هذا الذى يمكنك قوله . حسنا ، كانت لك حبيبات كثيرات أيام

صباك » .

– أراهن أن أبى مـ كان ليـمكنه حتى أن تكون هندية حمراء حبيبة له .

قال جو : « لا يخيلن لك ذلك . خير لك ، يا نيك أن تنتبه لكى تحافظ على

برودى » .

همست زوجته فى أذنه فضحك جو .

قال فرانك : « علام تضحكان ؟ » .

حذرته زوجته : « لا تقل له ، يا غارنر » . وعاد جو الى الضحك .

قال جو غارنر : « اطمئن يا نيكى لتكن لك برورانس . أما أنا فعلى فتاة

حلوـة غيرها » .

قالت السيدة غارنر : « كذا يكون الكلام » .

كانت الحيل تجر العربة بعناء شديد فى الرمل . مد جويده بالسوط فى

الظلام .

– هيا ، ليتغلب على الرمل . سيكون الجر أعسر من هذا غدا .

خبث الحيل مصوبة فى التل الطويل ، الى أن ارتجت العربة بالوقوف عند

باوغ منتهاها . تـرجلوا جميعا عند البيت فى المزرعة . فتحت السيدة غارنر

قفل الباب ، ودخلت البيت ، ثم خرجت تحمل فانوسا بيدها . أفرغ كارل ونيك الاشياء من مؤخرة العربة . جلس فرانك على المقعد الامامى استعدادا لسياقة العربة الى الحظيرة ولايوا، الحيل . صعد نيك الدرج وفتح باب المطبخ . كانت السيدة غارنر توقد نارا فى المدفأة . عادت بعد أن صببت الكيلوسمين على الحطب .

قال نيك : « مع السلامة ، يا سيدة غارنر ، شكرا على صحبتكم لى » .

— العفو ، يا نيكى .

— قضيت وقتا ممتعا .

— تعدنا صحبتك فى أى حين . ألا تمكث معنا لتناول بعض العشاء ؟

— خير لى أن أنصرف . يخيل لى أن أبى قد يكون ينتظرنى .

— لتصحبك السلامة إذن . ابعت كارل الى هنا ، رجاء .

— على الرحب والسعة .

— ليلتك سعيدة ، يا نيكى .

— ليلتك سعيدة ، يا سيدة غارنر .

خرج نيك من فناء المزرعة هابطا نحو الحظيرة . كان جو وفرانك يحلبان البقر .

قال نيك : « ليلتك سعيدة ، قضيت وقتا ممتعا معكم » .

هتف به جو غارنر : « ليلتك سعيدة ، يا نيك ، ألا تمكث لتأكل معنا ؟ » .

— لا ، لن أستطيع . هلا قلت لكارل أن أمه بحاجة اليه ؟

— حسنا ، ليلتك سعيدة ، يا نيكى .

سار نيك حافى القدمين يذرع سبيله خلال المروج الواقع دون الحظيرة . كان الثرى تحت قدميه ناعما وأحس ببرودة الندى عالقة على قدميه الحافيتين . ثم نزل مدجا خلال واد صغير ، تخوض قدماه وحل غدِير فى قاعه . وبعد ذلك تسلق صاعدا خلال غابات أشجار الزان الجافة الى أن بدت له أضواء الكوخ . تسلق السياج ولف حول الكوخ الى رواقه . رأى أباه من خلال الشباك جالسا بقرب الطاولة يقرأ على ضوء الفانوس الكبير . فتح نيك الباب ودخل .

قال أبوه : « أهلا ، يا نيكى ، هل كان يوما ممتعا ؟ » .

– كان يوما فى غاية الامتاع ، يا أبى . كان واحدا من أمتع أيام الرابع من يوليو .

– هل أنت جائع ؟

– فى غاية الجوع .

– ما فعل الله بحذائك ؟

– تركتهما فى العربة عند آل غارنر .

– هيا اخرج الى المطبخ .

سار أبو نيك فى المقدمة حاملا الفانوس . توقف ورفع غطاء صندوق البرد . دخل نيك الى المطبخ . أحضر أبوه قطعة من لحم الدجاج المثلج وسط طبق ، وإبريقا من الحليب وضعهما على المائدة أمام نيك . ثم حط الفانوس .

قال : « ويوجد أيضا بعض الفطير . هل يكفيك هذا ؟ » .

– يكفينى جدا .

– جلس أبوه على كرسي بجانب المائدة المقطاة بهفرش من القماش المشمع . ألقى ظلا ضخما على جدار المطبخ .

– من كسب لعبة الكرة ؟

– بيتوسكى . خمسة مقابل ثلاثة .

جلس أبوه يرقبه وملا قدحه من إبريق الحليب . شرب نيك ثم مسح فمه بفوطته . مد أبوه يده وتناول من الرف . شق لنيك قطعة كبيرة . كانت فطيرة توت أمريكى .

– كيف قضيت يومك ، يا أبى ؟

– ذهبت لصيد السمك فى الصباح .

– ماذا اصطلدت ؟

– لجر بعض السميكات النهرية .

جلس الأب يرقب نيك وهو يأكل الفطير .

سأل نيك : « ماذا فعلت بعد ظهيرة هذا اليوم ؟ » .

– صعدت أتمشى عند مخيم الهنود الحمر .

– هل رأيت من أحد ؟

– كان الهنود جميعا فى المدينة يسكرون .

– ألم تر أحدا البتة ؟

– رأيت صديقتك ، بزودى .

– أين رأيتها ؟

– كانت فى الغابة مع فرانك واشتبرن . أتيت عليهما صدفة . كان يقضيان

وقتا ممتعا .

لم يكن ينظر اليه .

– ماذا كانا يفعلان ؟

– لم أتريث لأعرف ذلك .

– قل لى ماذا كانا يفعلان ؟

قال أبوه : « لا أعرف . مجرد سمعتهما يبدآن ويغيدان وهما يتجولان ،

كيف عرفت أنهما كانا ههنا ؟ » <http://Archivebeta.com>

– رأيتهما .

– حسبت أنك قلت إنك لم ترهما .

– بلى ، بل رأيتهما .

سأل نيك : « من قلت كان معها ؟ »

– فرانك واشتبرن .

– هل كانا – هل كانا –

– هل كان ماذا ؟

– هل كانا سعيدين ؟

– يخيل لى ذلك .

قام أبوه من جوار المائدة وخرج من خلال باب المطبخ ذى الستارة . عندما

عاد كان نيك يحدق النظر فى طبقه . كان يبكى قبل عودة أبيه .

التقط أبوه السكين ليشق الفطيرة .

– هل أزيدك بضعة من الفطير ؟

قال نيك : لا .

– يحسن أن تنال قطعة أخرى .

– لا . لم يعد يمكننى .

– رفع أبوه ما على المائدة .

سأل نيك : « أين كانا فى الغابة ؟ »

– فى الأعلى خلف المخيم .

حذق نيك فى طبقه . قال له أبوه : « خير لك أن تخلص الى سريرك » .

– حسنا .

دلف نيك الى غرفته ، خلع ملابسه ، واندرج فى سريره . سمع أباه يتحرك متجولا فى غرفة المعيشة . انطبع نيك فى السرير مغرقا وجهه فى الوسادة .

قال فى نفسه : « قلبى محطم . إن إحساسى بهذه الطريقة يؤكد أن قلبى لا بد أن يكون حطيا » .

بعد برهة سمع أباه ينفخ الفانوس ليطلقه ثم يدخل غرفته الخاصة . استمع الى الريح يتصاعد هبوبها بين الأشجار فى الخارج وأحس بها تدخل عليه مهبها باردة من خلال الستار . ظل منبطحا مدة طويلة ووجهه راغم فى الوسادة ، وبعد لآى نسي التفكير فى بروفانس وأخيرا غلبه النوم . ولما استيقظ فى أثناء الليل سمع هبوب الريح بين أشجار الشوكران خارج الكوخ وأصغى الى أمواج البحيرة ترتطم بشاطئها ، وعاده النوم . فى الصباح كانت تهب ريح هوجاء وكانت الامواج تتراكم متعالية على الساحل وكان قد صحا منذ وقت طويل قبل أن يتذكر أن قلبه كان محطما .

تعريب :

عبد الله فاضل فارح

رابعة جديدة

لو عرف الرجال قصتي لاعتبروني قديسة مجاهدة . ولكن ما حيلتي وأنا لا أستطيع أن أقنعهم .. لا أستطيع ، هم يريدون حاجتهم مني ، ثم بعد ذلك يقهقهون ويتكبرون ، ويخرجون وجباهم عالية ، وأنفي في التراب . ويسر أحدهم للآخر :

– كم هي تتمرغ في الوحل ؟!

ونسوا أنهم يتمرغون معي .. نسوا أن سهام عيني تصيب أحدهم فيسقط أمامي جاثيا على ركبته .. نسوا أنهم كلاب يتمرغون في القاذورات .

وعرض لي يوما أن أقص أخرى على رجل توسمت فيه الخير ، فاستمع الى قصتي ، وعاما بعيني ، مسح جبهته من العرق مرارا .. كان يلهث عند متابعتة لقصتي ، يلاحقها بكل جوارحه ، تتغير نظراته ، تتبدل سحنه .. تفوح الطيبة من وجهه ، كان يحفر بعينه قلبي ، كان وجهه يشرق كاطلالة الفجر ، ولما أتممت قصتي تنهد ، ثم ابتسم وأظلم وجهه ، ثم أشرق وأخرج حافظته ، وسلم لي أوراقا مالية قصد انفاقها على صفار ، ما زالت أعينهم تحلم بالبراءة ، تحلم بالانعتاق من كابوس السجن المظلم .

ثم قلت في نفسي : اليس هذا من طينة الرجال الذين يقهقهون ويخرجون . وأبقى أتمرغ في الوحل ، وعلمت أنه قد أرسله أحد أصدقائه من المترددين على ، من الذين يأتون الى المنزل الذي أغسل به الثياب ، عندما تكون سيدتي في نزهتها اليومية .

وددت لو أمحق الرجال الذين لا يفهمون قصتي ، لا يعرفون أننى أدرك العلاقة بين الحبلى والجدار ، فهم كالكلاب مشددون بهذه الحبلى ولا يعرفون أنها سبب عبوديتهم .

أنا لا أريد الشفقة ، لا أريد أن يموت كبريائي ، لا أحب الاوصال المقطوعة .. لا أرضى أن يموت ابنائي جوعا وجورا .. أنا مصاصة دماء المتكبرين . ساكون سما زعافا لأجسادهم .

أكره من يعاملني بالحسنى ، كم يؤلمني أن أرى سيدتي تبعث ببقايا الطعام الى السائلين .. وكم من مرة أصبه في « المسكوكة » وأقول للسائل : أكرم نفسك يا كريم .

ويأتى سيدى فى سيارته فافتح له بابها ، ويمضى يتبختر نحو غرفته كالأمير ، ويعود أبناء سيدى من المدرسة فى سيارة خاصة بهم ، وأتذكر زوجى والأبناء الثلاثة والسجن المظلم .

وأعود الى منزلى ، الى فراخى فألقمهم طعاما ، ثم أنام ، وأنا أحلم بالانعتاق من قيود العبت وظلم الاقدار ، وتمر بذاكرتى صور جلييلة وناجية وفضيلة صديقاتى اللاتى علمننى التمرد فى الوحل ، وصيد المتكبرين ، والانفاق على ابنائى . وصوت فضيلة المدوى يفتت دماغى :

« اسمعى يا سامية ، نحن خلقنا للوحل ، نحن طابور الغداء والقداسة متى تقام لنا التماثيل مثل بوذا ورابعة .. » .

وأضحك فى سرى ، ابتسم لان فضيلة تدرك العلاقة بين الحبلى والجدار ، ولكن صوتها لا يسمعه احد ، إنها كهخرة ثائرة تزل من على حافة النهر ، ثم تنطفئ، ثورتها فى الماء البارد وتبتلعها الاعماق والأغوار .

قالت لى يوما فضيلة :

« نحن نموت عشرات المرات فى اليوم لنحيا يوما واحدا وكفى ، اليس فى هذا نجاح وإقدام .

وشعرت أننى أحمى ظهري بالصخور حتى لا اسقط الى الورا ، فانطلق صوت فضيلة قائلا :

« السقوط شيء ، والرحمة شيء آخر .

وأدركت من نظراتها سر ما أومأت اليه ، فقامت من مكانى لأنفذ أقوالها
بحذأثيرها ، وتركت طابور الفداء يتمرغ فى التراب لاتمرغ وحدى فى مكان
آخر ، ليس خجلا ولكن اعتمادا على النفس .

واعترضتني امرأة تلدنى مرات ، كانت عائدة من المنزل الذى تغسل فيه
الثياب ، كان وجهها منكمشا ، وعروقه بادية ، وعيونها غائرة وجسدها
يهوى نحو الذبول ، وبصقت فى وجهى فبصقت على وجودها وحياتها ، وعلمت
أنها مثلهم لا تدرك سر العلاقة بين الحب والجدار ولو تفتنت الى هذا السر
لثارت على وضعها .

أنا لا يهمنى أن اتعري ، بل فى العراء اثبات لوجودى ، كم من عين تلاحق
جسدى العارى ، فارتفع عنها ، وتقف السيارات فى الرصيف فاخترت السيارة
الفخمة ، والوجه الحسن الذى سادوسه برجلى ساعبت بكبريائه ، سامص
دماءه وأخرج من غرفته ظافرة منتصرة .

أذكر أن رجلا فى العقد السادس من عمره ، ترهل جسده ، ولكن ما زالت
فيه بقية من قوة ، أرادنى فسخرت منه ، سخرت من فكرته الحبشية ، ولكننى
احترمته لأننى رفضت أن أشوه كرامته برجلى التى لا ترحم ، فعلت معه ذلك
لأننى قديسة ، لأننى انتمى الى طابور الفداء وأحلم بتمثال يقام لى فى دنيا
الطهر والقداسة .

وجالست مع سيدتى فى صالون بيتها الفخم ، لقد أعلن فى برامج التلفزة
منذ أيام عن تقديم قصة مصورة لكاتب كبير . ودعتنى سيدتى الى مشاهدتها ،
وبقينا ننتظر انتظار أبناء الملاح لعودة أبيهم من رحلة بحرية فى فصل
الشتاء ، وبقيت أتساءل ماذا يهمنى من القصص ، أنا قصة لم يتحدث عنها
كاتب ، ولكن سيدتى لا يلذ لها الاستماع وحدها ، ألسنت أنا من متاع بيتها .

وظهر الكاتب على الشاشة الصغيرة ، ودهشت لرؤيته ، وبدأ القصة التى
كنت حدثته عنها ، إنها قصتى ، ولكنه اصبح عليها من خياله وروعة كلماته
ما جعلنى أنكرها ، أنكر أن أكون هذه البطلة التى لا تريد أن تتمرغ فى
الوحل :

- هي جميلة كأجمل ما تكون النساء جمعتنى بها لحظة من عمري .
- زوجها مغامر لص أنهك المجتمع بأعماله الفظيعة ...
- لقد قبض عليه ، وحكم عليه بسبع سنوات سجنًا عقابًا له .
- وقلت في سرى :
- وأنت من يعاقبك يا من تبيع قصص الناس ببريق المال .

وتذكرت ماله وإنفاقه على أبنائي ، فندمت . ولكنني أقنعت نفسي بأنه اشترى قصتي .. قصتي التي أريد أن يعرفها الناس ، لم يستمعوا لها جزافًا ، لقد بعثها الى كاتب منافق ، وما أكثرهم هذه الايام .

وقامت سيدتي لقضاء شؤونها ، فتركته يهذى ويهذى ، ودعت سيدتي متجهة الى عش فراخي . وعندما وصلت الى الحى الذى أسكن فيه ، بدأ الناس ينظرون الي نظرة خاصة ، لم أفهم لماذا ، ولكن أحدهم قال :

- لقد عاد الملاح .
- وعندما اقتربت الى المنزل ، استقبلتنى جارتى باسمه مستبشرة :
- لقد عاد فارس الاحلام .

ووجدته ينتظرني .. ووجدت الفراخ الثلاثة فى حجره ، فعانقته وبقينا ننظر الى بعضنا ، فركبت فى عينيهِ مركبا ، وأصبحت ملاحًا تنطهر بماء البحر النقي الذى لا تدركه القاذورات ، وضمنى بقوة فأحسست بلذة الحياة ، ونسييت طابور الغداء والحبل والجدار وركبت بحرا لا تحده المراكب الفضائية.

علي العربي

من يوميات نصف مثقف

حقا .. انتنى اؤمن بتحديد النسل ، وبنظريات الكم والكيف فى الانجاب ، وافهم نظرية مالتوش حق الفهم .. ولكن ما العمل .. والزوجة عندى نشيطة ..

فى كل عام ولد ، وفى كل تسعة اشهر احيانا ولد .. أقول فى بعض الاحيان : لأترك الأمر الى الله .. والله هو وحده الرزاق .. الناس ملوا من شراء الهدايا .. صاروا يتهربون من مقابلتى .. بل وحتى من تهنئتى .. اذا رآنى أحد معارفى من بعيد ، وهو على الرصيف الذى أسير عليه .. بسرعة يبدل الرصيف .. ويحث الخطا لكى لا أراه .. يقرأ كل ما حفظ من آيات القرآن ، كى ينقذه الله من ورطة مقابلتى واحراجها ..

— مبروك .. مبروك ..

يلقيها فى وجهى من بعيد .. اذا كتب عليه أن يمر الى جانبى ثم يسرع الخطى ، فأقف وابتسم .. وأحاول أن اقترب منه .. ولكنه يبتلعه الزحام ...

قلت : أولادى كثيرون (تبارك الله) .. البنون زينة الحياة الدنيا .. تزوجت منذ تسع سنين .. وعندى عشرة اولاد (تبارك الله ايضا) كان منهم أربعة توائم .. مات لنا اثنان (كم بكت السيدة زوجتى لفراقهما) والمرأة حامل الآن .. وكانت حاملا فى العام الماضى .. وستكون حاملا فى العام القادم .. كم يتنافس كاتب البلدية عندما يرانى .. تعود أن يرانى كل تسعة اشهر .. مرت التسعة اشهر (منذ سنتين) وعندما لم آت لأسجل مولودا جديدا ، أرسل الى يستأخرنى .. كانت زوجتى — يومها — قد أنجبت الاول .. وتأخر الثانى فى بطنها ..

تكرر حمائى .. السيدة حمائى قول الله تعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » واجيبها أنا بقوله : « كل نفس ذائقة الموت » .

فى أحد الايام مددت يدى الى مكتبتى القاحلة أبحث عن كتاب ما ، اضيع فيه نصف نهارى.. فوقعت على كتاب « تحديد النسل » .. نظرت اليه بأسى..

ثم تأوهت بقلب محترق .. لقد اهترأ غلافه .. وانفصمت أوراقه من كثرة قراءتي إياه .. حتى حفظت ما فيه عن ظهر قلب أو عن قلب ظهر ، ولكن كتب الدنيا جميعاً لا تفيد السيدة زوجتي ، لأنها تمت الى الارانب بصلة ما .. فتناولت كتاباً آخر : ديوان شعر متواضع لشاعر مغمور .. أنا لا أؤمن بالمشهورين دائماً .. أحب أن أبحث عن الجواهر في الزوايا المظلمة .. بحثت عن زاوية « فارغة » في منزلي العتيق المتواضع . أو الوضع « بعبارة أصح » ، وقبعت فيها .. قرأت الجملة الاولى من البيت الاول :

- أي .. !

صرخت من دون أن أشعر .. بعد لحظة واحدة انتبهت : انه أحد الشياطين قذف الكرة برجله فأصاب عيني .. وقفت الجملة الشعرية على شفتي وتجمدت .. قفزت جاحظ العينين .. شاتماً .. لعناً .. مكرراً كل الشتائم التي أضربها اذا تلفظوا بواحدة منها .. جريت خلفهم فشككوا قطاراً طويلاً جداً ، ودخلوا غرفة الحمام ، وأغلقوا الباب خلفهم ..

- افتحوا ... الله .. سوف ..

الشياطين يتضحكون من الداخل .. كلهم يتضحكون .. حتى الصغير « ابن التسعة أشهر » كان يحبوا كقرد صغيراً .. أما مكان العماراة .. فما شأنى بهم .. لقد تعودوا على ذلك ، لأنهم يعيشون معنا مشاكلكنا في كل يوم عطلة ..

قالت لى زوجتي ببرود :

- ان بقيت على هذه الحال فستصاب بالجنون .

صرخت في وجهها .. هجمت عليها أريد .. ولكنني تراجعته .. لأننى تذكرت أن السيدة حماتي سوف تزورنا في هذا المساء ..

قالت زوجتي وهى تتحدانى :

- هلم .. هيا .. اضرب ان كنت رجلاً .. اضربنى ..

والحقيقة أقول : اننى لا أستطيع ضربها لأسباب كثيرة : أولاً : لأن لها ثمانية « مسامير » مغروزة في ظهرى .. ثانياً : لأنها حامل دائماً بواحد أو اثنين .. أو بما لا يعلم الا الله .. وعندئذ سأرتكب جريمة قتل قبيلة كاملة .. وثالثاً : « وهو الأهم » أن السيدة أمها « ستسرفنا » هذا المساء ، والمصيبة

ستتضاعف ، وإذا كانت (أم أولادى) بواحدة (فجدتهم والعياذ بالله) بعشرة .

المهم فى الامر أننى حملت ديوان الشعر المتواضع ، وهربت به الى أحد المقاهى حيث لا أجد زوجتى الحامل (جدا) ولا أولادها الكثيرين (جدا) ولا حمائى المخيفة (جدا) .. بدأت بقراءة بيت واحد .. لست أذكر إذا كان هذا البيت من الشعر (بكسر الشين طبعاً) من المديح أو الهجاء ، ولكن الذى أذكره أننى لم أكمل البيت حتى تجمدت الكلمة الأخيرة منه على شفتى .. رحلت ألوكها والوكها .. لمحت وجهها أعرفه مر من خلف واجهة المقهى الزجاجية .. طأطأت رأسى .. واختلطت السطور أمام عيني .. وقع خطي تقترب منى .. استعذت بالله .. لم أدر كيف تحركت شفتاى بالقراءة .. سيعلم صاحب هذه الخطي أننى منهمك فى القراءة ولا وقت لدى لمؤانسته .. تجمدت القامة أمامى .. كانت طويلة كنتحله .. رفعت رأسى .. وقفت .. مددت يدي مصافحاً ، بعد أن رسمت ابتسامة على طول وجهى وعرضه :

— لا بأس .. لا بأس .. حتى الأولاد .. لا بأس .. كل شئ بخير .
أردت أن أقول : « لا أنا » ولكننى فضلت الصمت .

وأضينا ربع الساعة الأولى فى المجاملات والتحيات والسلامات .. ومن دون أن أدري طويت الديوان .. وخبطته على الطاولة . فابتسم الرجل ببلادة وقال :

— ربما شغلناك عن المطالعة .

رددت على ابتسامته ، واصطنعت خجلاً ، ثم قلت :

— قليلاً ..

فأجابنى واعظاً :

— طول عمرك وأنت تقرأ .. ماذا نفعتك القراءة ؟ انظر الى نظارتك السميكتين .. على كل حال عليك أن تستريح (ضحك بغيا) أنت تقرأ فى المقهى وفى الحافلة .. ماذا نفعتك العلم .

أردت أن أجيبه بأننى أقرأ فى أى مكان .. لأننى لم أجد فى دارى زاوية أوم نفسى فيها .. ولكننى لم أجبه . فأكمل ناصحاً :

- يا أخى يجب أن تستريح ..

فرددت ساخرا :

- هه .. استريح .. استريح ..

لم ينتبه الى سخريتي .. بل لم يعرنى أى اهتمام .. صفق للنادل :

- اسمع كوكا كولا ..

تحسست جيبي .. ليس فيه الا مبلغ ضئيل .. ثم قلت لنفسى : انه ضيف .. راح يحدثنى عن المقهى ، وعن تاريخ بنائه .. وعن صاحبه الاول الذى كان صديق ابن عمه .. حدثنى عن كل شىء الا عما يهمنى ..

سب زجاجة الكوكا فى جوفه .. وأنا أثقل عيني بين فمه هذا والديوان الشعري البائس ، المرمى على الطاولة .. تذكرت أولادى المحبوسين فى غرفة الحمام .. ثم تذكرت زوجتى .. حتى حمايتى « الكريمة » تذكرتها .. تمنيت أن أقفز فوق الطاولة وأهرب .. لم يؤلمنى المبلغ الذى سادفعه ، كما ألمنى نصف نهار كامل ضاع مع انسان ثقيل لا أرتاح اليه ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وانتشلنى من غفوتى هذه صوت « صاحبي » وهو ينادى :

- السي عبد الله .. تعال .. تعال ..

فاعتذر صاحبه :

- ولكن عفوا لدى صديق .. وعدته وسوف يأتى بعد قليل .

- تعال يا رجل .. تعال لأعرفك على صديقنا - وأشار إلي - وسيأتى

صديقك ويراك هنا ..

اقترب السي عبد الله هذا .. وطلب من النادل ما طلب .. ولم أغادر المقهى الا بعد أن دفعت كل ما فى جيبي .. ورجعت الى الدار أجرجر خيبتى من دون أن أشتري شيئا ...

زهير العلاف

حول القصة التونسية

نظم نادى القصة بالتعاون مع دار الثقافة ابن رشيق أياما دراسية عن القصة التونسية شارك فيها بالدراسة : الاخوان : أحمد ممو – جان فونتان – عمر بن سالم – آدم فتحى القاسمى . بالإضافة الى مناقشة جمهور المشاركين . وفى الصفحات الموالية تقديم كل من أحمد ممو وجان فونتان .

« قصص »

الاهتمامات الأساسية للرواية التونسية

1 - مشاكل الرواية التونسية :

من الصعوبات التي تعترض الدارس الذي يتعرض للرواية التونسية مفهوم الرواية نفسه وخاصة عندما يكون الهدف من هذا المفهوم وضع تعريف لتطبيقه على مجموعة من النصوص الأدبية التي تنتمي الى مراحل مختلفة وتعكس اتجاهات أدبية متعددة . ويبدو أن النقاش قد كان طويلا حول تعريف الرواية ، وإن كان يمكن ضبط تاريخ هذه الجدلية التعريفية إلا أنها ترتبط أساسا بالمرحلة التي توضح فيها هذا الصنف الأدبي في نطاق النوع الذي يطلق عليه اليوم اسم « القصة » لذلك كثيرا ما يقع الخلط بين « القصة » و « الرواية » . وإن كان الفرق بين القصة والرواية قد بدأ يتضح في اهتمامات كتاب القصة في تونس منذ تأسيس نادي القصة بشكل انعكس فيه من خلال ما بقي من مناقشتهم فإن ما كتبه محمد المختار بن جنات في هذا السياق لم يحسم الموضوع . ولعله قد ساعد أكثر على التأكد من الاختلاف في المفاهيم في هذا النطاق هو أوسع من أن ينتهي في شكل تعريف بسيط (I) . ولعله من باب الطرافة أن يتذكر أولئك الذين يخوضون في المناقشات التصنيفية أن مفهوم « الرواية » هو أقدم مفهوم عرفته القصة التونسية كما يتضح ذلك من تقديم « البيضاء وسراج الليل » لصالح السويسي التي كتبت سنة 1906 في مجلة « خير الدين » (2) .

وإذا كان مصطلح الرواية قد استعمل في تونس منذ ذلك التاريخ فهو لايعنى أن الوعي كان تاما بأبعاد الشكل القصصي لهذا الصنف الأدبي كما أن ذلك

(1) محمد المختار بن جنات : الفرق بين الرواية والقصة ، قصص ، ع 4 ، 1967

(2) يراجع محمد الصالح الجابري : في أوليات القصة التونسية ، قصص ، ع 6 و 7 ، 1968 .

لا يستوجب ايضا ان تكون الرواية التونسية بعد ذلك قد عرفت التطور المطرد في انتاجها وفي تطوير اشكالها واهتماماتها . وفي ما كتبه محمد الصالح الجابري في مجلة « قصص » ما يؤكد ان كتابة الرواية في تونس كانت موقفا فرديا اكثر مما هي ظاهرة ادبية جماعية نابعة من وعي جماعي بضرورة هذا الصنف الادبي وجدواه في التبليغ الكتابي .

واذا كانت الفترة التي سبقت الاستقلال السياسي للبلاد لم تعرف في ميدان نشر الرواية الا القليل فان في ما نشر بعد ذلك ما يؤكد حضور الرواية في تونس كصنف ادبي ينتمي الى نوع القصة . وان كان في النماذج المنشورة من الرواية التونسية ما يغلب اتجاهات دون غيرها فلان عملية النشر نفسها هي حصيلة عملية انتقائية موجهة سواء في مستوى الاهتمامات او عند بسط تكاليف النشر ؛ فالمسابقات الادبية التي كان لها الفضل في تشجيع الانتاج الروائي كانت تعمل من ناحية اخرى على فرض اختيار مبدئي يعطى للرواية النضالية حظوظا اوفر . والمسابقات الادبية وان كان لها فضل الانتقاء وعدم الاعتراف بالفوز للافضل فهي من ناحية اخرى لا تعترف بالفوز الا لما كان يستجيب لشروط معينة لذلك . لا يمكن اليوم اعتبار الرواية النضالية التي تتخذ كموضوع لها الصراع ضد المستعمر ظاهرة عادية استقطبت اهتمام الروائيين التونسيين بل هي ظاهرة مرضية جاءت نتيجة تركيز مؤسسات النشر في اطار حكومي . ولو امكن تصور كل ما لم ينشر من الرواية التونسية - لانه لا يخضع لمقاييس نشر الدور الحكومية لكان الحكم على الرواية التونسية اكثر شمولا . وما ظاهرة تكثف الانتاج الروائي في السنوات الاخيرة وارتباط نشره ببروز دور نشر خاصة الا صدق لذلك الاختناق الذي كان يعاني منه الانتاج الروائي الذي لم يكن يستجيب لشروط دور النشر الحكومية .

وتجنبنا للنقاش الذي قد يطول حول تراثية الرواية في واقعنا او كونها مستجلبة من الغرب مثل التكنولوجيا والتقليعات الغربية اشير فقط الى ان الاختلاف في التعريف قد يكون منشؤه اعتبار جوانب فقط دون مراعاة جوانب اخرى عند تصنيف ال اثر الادبي . وما التسميات المختلفة من رواية اجتماعية ورواية سياسية ورواية تاريخية ورواية نضالية ورواية الحدث ورواية الشخصية .. الخ .. الا دليل على عدم شمولية النظرة النقدية التي

وجهت للرواية التونسية باعتبارها في مختلف نماذجها ظاهرة أدبية تأتي مكملة لانتاج القصة القصيرة ومستجيبة لضرورة ثقافية ما .

ومما يجب أن يلاحظ في هذا السياق هو أن الرواية ككل الاصناف الادبية الاخرى تكون خاضعة للتغيير وللتطور . وقد يكون في مقوماتها ما ينتمي الى انواع أخرى من النثر الادبي القديم كالخبر والحديث والسيطرة ، ومنها ما هو مستمد من التعامل مع الاشكال الغربية الدخيلة وخاصة في مستوى التقنية الفنية لذلك يكون غير مجد البحث عن تلك الاصالاة الموهومة التي لا تشوبها ملامح العصر ومن غير المجدي أيضا اعتبار الرواية لقيطا يرضع من امتداد الثقافة الغربية المعاصرة بكل ما في ذلك من انكار وتبرئ . وما يكون انفع للناس من خلال كل هذا هو التوصل الى ضبط مقومات الرواية كصنف أدبي يستجيب - من خلال النماذج التي كتبت فيه وتلك التي ستكتب - لحاجيات أدبية ثقافية في واقعنا وكذلك الى تبيان ما توصلت اليه الرواية من عكس لاهتمامات هذا الواقع الثقافي او تحديد لمعالمه .

لذلك سأترك جانبا تحليل المصطلحات حول مفهوم « الرواية » و « القصة » وسأعتبر - وارجو أن لا أكون متسيفا - أن الرواية تتميز بوجود الشخصيات التي ترتبط مع بعضها في نطاق فضاء ما وزمن ما من خلال الاحداث التي تنعكس فيها مواقفها علاقات تخرج بهذه الشخصيات من مواقفها الاولى الى مواقف موالية تسمى « تطوير الحدث » .

من خلال هذا التعريف تبدو ضرورة توفر :

- الشخصيات المرتبطة مع بعضها بعلاقات ما .
- الزمن والفضاء اللذين تتحرك فيهما الشخصيات .
- تطور الحدث .

سأسعى في ما يلي الى توضيح بعض اهتمامات الرواية التونسية انطلاقا من هذه العوامل العامة جدا والتي تبدو أساسية في هيكليتها الرواية .

2 - الاهتمامات الأساسية للرواية التونسية :

2 - 1 - الشخصيات وعلاقاتها : من أهم ميزات الرواية بالمقارنة الى القصة او الاقصوصة تعدد الشخصيات . وبتعدد الشخصيات توجد وضعيات

اولية ينطلق منها الحدث . وفى نطاق هذه الوضعيات الاولى يتم انقسام الشخصيات . فتصنيف الشخصيات يتم بالاعتماد على :

- اهميتها فى تطوير الحدث : فتقسم الى شخصيات ايجابية وشخصيات سلبية .

- انتمائها الطبقي الاجتماعى او السياسى : وتنقسم الى شخصيات مضطهدة واخرى قاعرة .

- الشكل الذى توخاه الكاتب : ويتضح منها الشخصيات الواضحة المعالم والشخصيات الغائبة المتذبذبة .

بالاضافة الى الشخصيات الرمزية والشخصيات الواقعية .. الخ ..

ولعل من اوضح التقسيمات للشخصيات الروائية تقسيمها الى شخصيات حركية واخرى سكونية . فالشخصيات الحركية هي تلك التى تعمل على تطوير الحدث اما الشخصيات السكونية فهي تلك التى لا تخدم الحدث الا بتواجدها فى الفضاء الروائى وعادة ما تكون شخصيات وصفية . وفى نطاق تقسيم الشخصيات الحركية تأتى الشخصيات الاولى والثانوية والشخصيات الايجابية والسلبية والشخصيات المضطهدة والمضطهدة .. الخ ..

بالاعتماد على أهمية الشخصيات ومواقفها من الاحداث وانتمائها الطبقي الاجتماعية او السياسية تبرز الانماط التالية من العلاقات بين الشخصيات

- العلاقات الصراعية : وفى نطاقها تتميز العلاقات التنافسية والعلاقات التنافسية .

- العلاقات التضامنية : وفيها العلاقات التكافلية والعلاقات التواكفية والعلاقات الاستغلالية .

العلاقات التعايشية : وفيها العلاقات التآسسية والعلاقات الاستقطابية .

يمكن الاشارة الى وضوح العلاقات الصراعية فى الرواية التونسية نظرا لاهتماماتها الصراعية التحررية او الصراعية الاجتماعية لذلك ساعرض هذا النمط من العلاقات كنموذج .

من خلال النسبة الكبيرة من الرواية التونسية التي تتحدث عن محاولة التحرر أو التخلص من المستعمر تبرز العلاقات الصراعية من خلال طرفى الصراع وموضوعه وفضائه .

- طرفا النزاع : ينضبطان من خلال موضوع الصراع فهما اما شخصيتان او مجموعتان تختلفان في الاهداف وفي المصالح . ولقد تكونان من نفس الوسط او تربطهما روابط اخرى من نوع العلاقات الاجتماعية او العائلية او المنفعية . وقد تكونان لا تتصلان ببعضهما الا من خلال وضعية الصراع .

يتميز طرفا الصراع من بعضهما من خلال وضعية تسبق المرحلة الصراعية ويحدد التقابل بينهما من خلال تازم الوضعية الصراعية لكي تنتهيا بعد ذلك الى تراجع أحدهما عن موقفه او الى الاختفاء من فضاء الصراع .

- موضوع الصراع : يتكيف موضوع الصراع بتعدد واختلاف العلاقات الاخرى التي تشد الشخصيات الى بعضها . فالصراع الذى يكون بين المستعمر والمستعمر يكون موضوعه السلطة والنفوذ وامتلاك الموارد كما ينعكس ذلك من خلال « يوم من أيام زمرا » و « التوت المر » و « ارجوان » و « حب وثورة » .. الخ .. والصراع فى نطاق العائلة يكون من اجل الارث كما فى « المنبت » و « الدقلة فى عراجينها » ... ومن اجل النفوذ وهو عادة ما يكون صراعا بين الاجيال كما فى « الدقلة فى عراجينها » و « التوت المر » و « واحة بلا ظل » و « فى بيت العنكبوت » ...

قلما ينعكس الصراع فى الرواية التونسية صراعا بين الالوان او الاجناس او الاديان .

والصراع فى نطاق الوسط الطبقي يكون من اجل النفوذ كما فى « يوم من أيام زمرا » و « واحة بلا ظل » ومن اجل موارد العيش مثل الماء والارض وفرص الشغل كما فى « الدقلة فى عراجينها » و « نصيبى من الافق » و « الجسد والعصا » وكذلك من اجل المرأة كما فى « واحة بلا ظل » و « الدقلة فى عراجينها » و « الجسد والعصا » و « حب وثورة » ..

الخ .. وعادة ما يستعمل الصراع من أجل المرأة من خلال علاقة ثانوية كخلفية درجت عليها الرواية العربية لشد اهتمام القارىء وتمكينه من متابعة تطور الاحداث الاخرى .

- **زمن الصراع** : زمن الصراع يكون تطورا لوضعية تسبق فترة الصراع ويدخل التطور على علاقات الشخصيات ومواقفها وفي ذلك تازيم للاحداث لكي تنتهى مع نهاية الرواية الى حل ما غالبا ما يكون فى الرواية التونسية فى صالح المستضعفين .

فى صنف الرواية النضالية غالبا ما يقترن زمن الصراع بعلامات من الزمن التاريخي لربط الاحداث والشخصيات الى اطارها الواقعي واكسابها البعد التاريخي . ويكمل ذلك عادة بايراد مواقف الشخصيات ذات ابعاد تاريخية باعتبار مواقفها البطولية او بتدخلها الحاسم فى تطوير الوضعية التاريخية لمجموعة الشخصيات التي تنمو من خلال الرواية .

2 - 2 - **العلاقات التضامنية** : تضع هذه العلاقات شخصيتين او مجموعتين من الشخصيات فى مواجهة طرف مقابل قد يكون شخصية او مجموعة او وضعية صعبة فهناك التضامن الايديولوجي ضد المستعمر كما فى « التوت المر » و « نوافذ الزمن » و « ارجوان » و « الشجرة » و « حب وثورة » او ضد وضع اقتصادي كالتعاضد مثلا كما فى « واحة بلا ظل » او ضد محلة الباي التي تاتي لجمع المجبى كما فى « الجسد والعصا » و « الدقلة فى عراجيتها » وضد الغريب بصفة عامة كما فى « يوم من ايام زمرا » بالاضافة الى التضامن الطبقي كما فى « البحر ينشر الواحه » والتضامن الاجتماعي فى موقف النازح الى المدينة كما فى « فى بيت العنكبوت » و « ونصيبى من الافق » و « التضامن المعيشى » فى نطاق المجموعة من أجل موارد العيش كما فى « الجسد والعصا » و « المنبت » و « واحة بلا ظل » و « حب وثورة » .. الخ ..

فاذا كانت العلاقات الصراعية تميز البعدين الايديولوجي والاجتماعي للرواية وتختص اكثر بالوضعيات التقابلية التنافسية او التناحرية فان العلاقات التضامنية يمكن ان تمهد للوضعية الصراعية كما يمكن ان تاتي نتيجة لها ولاحقة لنتائجها وهي تعكس البعد الاجتماعي اكثر مما تكون صدى

للوضعيات الصراعية وهو ما يجعلها تختص بالشخصيات التي تنتمي الى نفس المجموعة فالعلاقات التكافلية مثلا تكون في نطاق العائلة وتنشأ عن وضعيات الزمالة . والعلاقات التواكلية تبرز بالضرورة في نطاق العائلة أو بين الشخصيات التي ترتبط ببعضها بعلاقات عاطفية . أما العلاقات الاستغلالية التطفلية فهي نتيجة تقبل احد الطرفين لها باعتبارها تركز على علاقة اخرى اكثر وثوقا .

2 - 3 - العلاقات التعايشية : تمتاز هذه العلاقات باعتبار الفضاء فيها عاملا اساسيا يجمع بين العديد من الشخصيات مما يوجب قيام علاقات تأنسية او تعاملية تتحول في فترات الحروب والكوارث الطبيعية الى حركات استقطابية تولد مواقف تضامنية او مواقف صراعية بين هذه الشخصيات التي تعيش في نفس الفضاء ولا تتعامل الا في نطاق ضرورة التعايش .

فالعلاقات التعايشية عادة ما تتأطر بفضاء القرية او المدينة وتكون اكثر وضوحا في نطاق غربة المدينة . وتأتي الحركات الجماعية الاستقطابية من نوع الحروب كما في « نوافذة الزمن » و « حب ثوورة » لكى توضح انتماءات الشخصيات . اما الكوارث الطبيعية التي تبرز من خلال الرواية التونسية فهي عادة ما تبرز في شكل المجاعة كما في « الشجرة » او الجفاف كما في « ونصبيسى من الافق » وتتميز هذه العلاقات بكونها تندرج في نطاق الوضعيات الاولى في اغلبها وتبقى عادة على هامش الحدث لكى ترسم الاطار الذى تتحرك فيه الشخصيات وتبرز المناخ النفسى الذى يسيطر على المجموعة ولا تكسب اهميتها الا من خلال الوضعيات الاستقطابية .

في نطاق هذه العلاقات المتعددة التى يمكن ان تقوم بين الشخصيات تبرز بعض النماذج من الشخصيات بصورة طاغية على غيرها . وفي مقدمة هذه الشخصيات تأتي شخصية البطل . وهى شخصية كثيرا ما سيطرت على اذهان الكتاب والقراء على حد السواء ، وتحولت الى عقدة ادبية وجدت متنفسا لها فى كل قصص الشخصية من نوع السيرة الشعبية والقصة البوليسية وقصص الجوسسة الغربية والقصة التاريخية الغرامية وسير العظماء . وان كان مفهوم البطل قد عرف اليوم تحولا من الشخصية الفردية الى الشخصية الجماعية ومن الشخصية المستقطبة للاحداث الى الشخصية

المبررة لها . واذا كانت الرواية النضالية التي تتحدث عن مفهوم البطل فى نطاق مفهوم محاولة التخلص من المستعمر كثيرا ما تضع القضية او الارض فى مركز البطولة نظرا لتبريرها لكل الاحداث الا ان الرواية السياسية الايديولوجية قد عادت بكثير من الرومنطية الى مفهوم البطل لكى تصنف الشخصيات الى شخصيات ايجابية واخرى سلبية . ومن خلال هذا الصنف الروائى يبدو البطل فعلا عند الدعاية لافكاره التي يحمله اياها الكاتب ويكون موقفه من الاحداث يعانى الكثير من تناقض واقعه مع افكاره ويتجاوز احباطاته الى واقع يدعو الى قلب المفاهيم والعلاقات فى المجتمع .

وفى نطاق الرواية التونسية تبدو الشخصيات متعددة المشارب والمواقف وتكون تنطلق من واقعها الى احلام افكارها لكى يبدو البعض منها فى صورة البطل الايجابى كما فى « التحدى » و « فى بيت العنكبوت » و « المنبت » و « الثوت المر » و « واحة بلا ظل » الخ .. اذ يبدو البطل يعيش ثنائية التناقض بين افكاره وواقعه ويسعى الى ان يغير ما بنفسه وما بقومه .

قد تكون الشخصية المحورية فى الرواية التونسية مجرد بطل يجد فى جذوره التاريخية الواقعية التي يسعى الكاتب الى ان يسبقها على واقعه كما يحدث ذلك فى « حب وثورة » . وقد تكون الشخصية مجرد بطل سلبى يعكس الاحداث ويجر خطايا الآخرين كما فى « فى بيت العنكبوت » وفى « المنبت » وفى « يوم من ايام زمرا » اذ يسعى مثل هذا البطل الى تجاوز واقعه فتشده وضعيته الى بقايا من علاقاته وارتباطاته العائلية كما فى « المنعرج » ولعل من أبرز مواقف مثل هذه الشخصيات التي تنعكس فى الرواية التونسية مواقف البطل تلك الشخصية الرئيسية فى الرواية التي تجد فى جذورها الاجتماعية الفقيرة او الريفية او الشعبية بصفة عامة مكبلات لا تعمل الا على تضخيم الاحباط فى اعماقها وفى افكارها .

واذا كان من مميزات الرواية التونسية انها تعكس اصنافا متعددة من الشخصيات التي تغلب عليها الغائية الهادفة الى ما هو أفضل والصامدة فى وجه الفقر والمستعمر والحيث الاجتماعى والتقاليد البالية فان مما يعاب على البعض منها عرضها لشخصيات مسطحة ككرتون الصور المتحركة تحركها أحداث أحادية الاتجاه بمشينة كاتبها وتبقى تلك الشخصيات حتى النهاية

ساذجة وبراقة كبعض الالوان الشعشائية التي تخلب نظر الانسان البدائي او الثور الاسباني . ويتضح ذلك في « حليمة » و « حب وثورة » مثلا وتعداد الشخصيات لا يمكن ان يكون مجديا الا عند ربط هذه الشخصيات الى مواقفها وما تعددها هنا الا لابرار تنوعها وما تنوعها الا دليل على كثرة احتمالات المواقف التي يمكن ان يوجد الكاتب من خلالها علاقات اخرى . وعلى قدر اجتهاد الكاتب يكون نجاح شخصياته لكي تكون الرواية في النهاية سوية تنشد الاهداف السامية وخير المجموعة التي تنتمي اليها .

واذا كانت بعض الشخصيات قد اصبحت نموذجية في الرواية التونسية لكثرة ما لاکها الكتاب كالزوج الغني العجوز البخيل وكبهلول القرية وكالحائش لشعبه الحارج من قشرته ومن دينه وكالفقيه المتفقه (حب وثورة ، ارجوان ، الدفلة في عراجينها) والحلاق الثرثار (المنعرج) والعجوز والقوادة (الجسد العصا) والزوجة الخائنة (الدفلة في عراجينها والجسد والعصا) والفتاة التي تحب رجلا آخر تقف في سبيله الثقيل والخطيب المفروض (حب وثورة) .

واذا كانت بعض الشخصيات ضبابية الملامح غامضة التقاسيم ذات مواقف جامدة تلازمها طيلة حياتها الروائية فذلك لقصور في النفس الروائي عند الكاتب . وما احوجنا في ميدان الرواية الى عدائي المسافات الطويلة لكي تكون الرواية النهر التي ترحش املا واندفاعا ولكي لا يضطر الكاتب الى قتل شخصيات روايته دون موجب ضرورة روائية او الى التخلي عنها في زحمة الاحداث في الوقت الذي تبقى فيه معلقة في ذاكرة القاري .

3 - الفضاء الروائي : ينقسم الفضاء في الرواية التونسية الى صنفين :

- فضاء واقعي بين المدينة والقرية او الريف وبين الطبقات الشعبية وتلك التي تتجاهل وجودها .

- فضاء تخيلي نفسى بين الافكار والاحلام التي يفرزها الكاتب وتقتات منها شخصياته . يتأني الفضاء الواقعي في الرواية التونسية من الواقعية الاجتماعية لاغلب الروايات التونسية . لذلك كانت لثنائية المدينة /الريف او المدينة/ القرية صدى في اغلب هذه الروايات .

تبرز هذه الثنائية في اغلب الروايات التي تناولت شريحة من المجتمع لتحليلها مثل « الدفلة في عراجيتها » و « المنبت » و « يوم من ايام زمرا » و « في بيت العنكبوت » و « واحة بلا ظل » .. الخ ..

ومن خلال مثل هذا الفضاء الاجتماعي تبرز المدينة دائما بوجهها المضيء الذي يستقطب أحلام الشخصيات وتطلعاتها لكي ينتهي ذلك الى سراب عندما يصفع الواقع هذه الشخصيات وتتحول الى نفايات وبشور تتجاهلها المدينة او تبرأ منها (ونصيبى من الافق ، فى بيت العنكبوت ، طرنتو تعيش وتربى الریش ..) ويبرز فضاء القرية او الريف دائما فى صورة الفضاء الاقرب الى السليقة حيث مشاكل المجموعة مشدودة الى ارتباط الشخصيات بالارض والعلاقات العائلية او بالتقاليد والعرف وقلما يعكس فضاء القرية تناقضا بين الانسان وواقعه أو سعيا الى لفظ هذا الانسان الا اذا حدثت فى افكاره من بواعث الوعي ما يدفعه الى ان يجد فى رتابة تلك الحياة وجد بها ما يدفعه الى التطلع الى فناء المدينة ويكون ذلك تهيئة له لكي يسعى الى النزوح ولكن الدورة يجب ان تتم بخيطة فى المدينة وبعودته او الحلم المتواصل بالعودة فى يوم ما الى الفضاء الذى انطلق منه (ونصيبى من الافق فى بيت العنكبوت) . فالجحيم دائما هو المدينة والعلاقات العائلية التي تذكر الانسان بجذوره الريفية . اما السكينة فلا تكون الا فى الريف الذى يعيش افكار الشخصيات التي هى من نمط « اوليس » ولكن الريف او القرية يمكن ان يكونا الجحيم ايضا بالنسبة لنمط الشخصيات الفيلاينية التي تنتفخ تطلعا وطموحا .

يندر ان يكون الفضاء فى الرواية التونسية غير موطف فى الحدث الروائى وعندما يحدث ذلك كما فى بعض الروايات النضالية فان اهتمام الكاتب الاساسى ينصب على خلق شخصيات ورقية مسطحة .

اما الفضاء النفسى التخيلى فهو دعم للذاكرة وللحلم وللمونولوج الذى يحرك الشخصيات كتيار كهربائى مما يجعلها تنضح افكارا ومشاعر وتتصرف مواقف تعكس الادانة لغيرها وهو هروب للشخصيات السلبية المحيطة ومحطة الكاتب خاصة فى ميدان القصة النضالية ذات الخلفية التاريخية (ارجوان ، برق الليل ، حب وثورة ، نوافذ الزمن ، حليلة ،

الزيتون لا يموت) او القصة الاجتماعية ذات الخلفية الغرامية (فى بيت العنكبوت ، البحر ينشر الواحة) . ومثل هذا الفضاء النفسى التخيلى هو الذى يمكن الشخصيات من ان تقارن بين واقعها وما يعتل فى افكارها من مدن فاضلة . وبقدر ما تكون الاحلام عريضة يكون التناقض بين الواقع والفكرة اوضح .

فالفضاء فى الرواية التونسية فضاء مكيف للاحداث عاكس لمواقف الشخصيات يسعى الى ربط الصلة بين واقعية ما اعتادها القارئ فى حياته اليومية واخرى يريد الكاتب ان يوصله بانها تواصل فى حياة شخصيات روايته .

4 - الزمن فى الرواية التونسية : زمن واقعى ثنائى الاتجاه : اما سردي تطوري او استرجاعي تذكري . وهو اما زمن وضعية او زمن شخصية . وفى جميع هذه الحالات يكون الزمن زمن حدث عاكس للحركة وقائم على تطويرها .

تغلب على الرواية التونسية صفة الزمن السردي التقريري كما انه من الصعب ان تكون هناك رواية تونسية لم تعرف حديث الذكرى والعودة الى أحداث ماضية فى حياة شخصياتها . وفى العملية التذكيرية الاسترجاعية احضار للماضى واستقاط له على الحاضر كما ان فيه اقتطاعا فى الاحداث يجنب الاطالة والاملال .

وان كان الزمن يخضع لتقسيمات متعددة فى نطاق الحدث وتطوره من عرض لوضعية ما الى تطوير تلك الوضعية الى اخرى مغايرة ثم انبثاق وضعيات جديدة قد لا تلقى مع السابقة فى نسقها الزمنى او فى موقعها الطبيعى منه فان الزمن المركب ظاهرة عرفت فى بعض الروايات التونسية مثل « نوافذ الزمن » و « الجسد والعصا » استعمالا ملائما ليعتمد اساسا الاقتطاع والاسترجاع والتنوع بتنوع الشخصية . وفى هذه الحالة يصبح الزمن صفة ملازمة للشخصية سواء بصيغته او بموقعه الواقعى او التخيلى من حركية هذه الشخصية . ومثل هذا الزمن المركب كثيرا ما يساعد الكاتب على وضع العديد من الشخصيات عند نقطة الالتقاء الزمنى مما يساهم فى تفجير الحدث .

ورغم كل ما يمكن أن يأتي به الاقتطاع الزمني أو تقطيع الحدث من إمكانية استعمال لتقنيات روائية دخيلة على مفهوم السيرة الشعبية أو الخبر الأدبي أو المقامة إلا أن الزمن في نطاق الرواية التونسية يبقى زمنا ديكارثيا منطقيا غالبا ما تغطي عليه صفة التصاعد الاطرادي يمثل الحدث ويجسمه .

5 - خاتمة : بعد جملة الملاحظات هذه تبدو الرواية التونسية معاصرة لكتابها وللجيل الذي كتبت له تحمل هموم الانسان الذي يتغذى منها ويعايش كاتبها تقتطع نماذج من المجتمع أو من مشاكل الانسان الذي يعيش فضاء هذا البلد . وهي في مستوى انتاج الكاتب عدد فرد أو مثنى قل أن تتجاوز ذلك الى ما هو أكثر ؛ فالتقاليد الروائية لم تتجذر بعد والعوامل متعددة الاسباب منها ما هو من طبيعة الكاتب ، ومنها ما هو من صيغة الثقافة التي أordناها تعليمية تلقينية تمتاز دواليبها بالبيروقراطية وبخضوعها لمتطلبات السوق لذلك لا يمكن أن تصنف الرواية التونسية حسب الكم وهي في نطاق الكيف ما زالت تحتاج الى الكثير من الوقت ومن حظوظ النشر ومن التحول الى قطاعات ثقافية أخرى من نوع المسرح والسينما لكي تثبت فاعليتها وضرورتها في الدورة الثقافية .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قابس في 81/3/14

احمد ممو

جان فونتان

الأقصوصة التونسية (1968 - 1980)

يشمل هذا العرض جزئين : الجزء الاول منهاجى أجيب فيه عن ثلاثة أسئلة : أولا : لماذا اخترت 68 كنقطة انطلاق للدراسة ؟

ثانيا : ما هي المادة المدروسة ؟

ثالثا : ما هي المعايير التي اعتمدها في التصنيف ؟

اما الجزء الثاني : فهو التبويب بحد ذاته .

1 - المنهاج :

أ - التاريخ :

ما هي الاسباب التي دفعتني الى اختيار سنة 68 كبداية ؟

① - أولا : إن الفترة الزمنية قبل هذا التاريخ دوسها عدد كبير من الباحثين اذكر منهم : محمد فريد الغاوي في كتابه « الرواية والقصة في تونس » ، وصالح الفرماوى في دراسته المنشورة في حوليات الجامعة التونسية حول « القصة في تونس منذ الاستقلال من خلال المجلات » ، ومحمد صالح الجابري في كتابه « القصة التونسية : نشأتها وروادها » وعلينا الا ننسى في هذا الميدان اعمالا جامعية لمحمد صالح مراكشي « أهم الاغراض الاجتماعية في نماذج من القصة العربية من خلال أهم المجلات والصحف » ، وكذلك يوسف بن ساسي « القصة التونسية من خلال مجلة « قصص » من العدد الاول الى العدد التاسع » . فأمام هذه الدراسات العديدة ليس من الضروري ان ارجع الى هذه الفترة من تاريخ القصة التونسية .

② - ثانيا : لم تنشر اى مجموعة قصصية في تونس من 1957 مع انتهاء سلسلة « كتاب البعث » لأبي القاسم محمد كرو الى 1967 .

③ - ثالثا : إن نادى القصة والذي أسس في نهاية 1964 والذي نشر مجلة « قصص » في آخر 1966 بدأ ينتج بصفة مستمرة مجموعات قصصية سنة 1968 .

④ - رابعا : كذلك بدأت الدار التونسية للنشر توزع مجموعات قصصية بداية من سنة 1968 .

⑤ - خامسا : تمثل فترة 68 - 69 منعرجا هاما في السياسة الاقتصادية بالانتقال من النظام الاشتراكي الى النظام الليبرالي .

ب - المادة :

ما هي المادة التي أدرسها في هذا العرض ؟

تجمع هذه المادة المجموعات والنصوص المنشورة في الدوريات والصحف .

① - المجموعات :

من 1968 الى 1980 نشرت في تونس 48 مجموعة قصصية لـ 36 مؤلفا . وبما ان عدد الكتب الادبية من الرواية والشعر والمسرح والنقد المنشورة في نفس الفترة يبلغ 210 نرى ان القصة القصيرة تمثل نسبة 23% من الانتاج المنشور مع الملاحظ أن الانتاج يمثل :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakari>

في المسرحية 18 كتاب .

وفي الرواية 31 كتاب

وفي النقد 42 كتاب .

وفي الشعر 70 كتاب .

دائما في ميدان الارقام أقول : إن ثلثي المؤلفين لهم كتاب واحد فقط وتسعة منهم لهم كتابان وثلاثة منهم لهم ثلاثة كتب وما هي قائمة المجموعات :

1956 ناجية ثامر	:	أردنا الحياة - 108 ص.
محمد المرزوقي	:	عرقوب الحبر - 112 ص.
محمد المرزوقي	:	في سبيل الحرية - 90 ص.
1957 محمد المرزوقي	:	بين زوجتين - 112 ص.
1968 مصطفى الفارسي	:	القنطرة هي الحياة - 289 ص.
حسن نصر	:	ليالي المطر - 178 ص.
عز الدين المدني	:	خرافات - 267 ص.
ليلي مامي	:	صومعة تحترق - 200 ص.

- 1969 يحيى محمد : نداء الفجر - 300 ص.
- هند عزوز : في الدرب الطويل - 185 ص.
- 1970 عبد القادر بلحاج نصر : صلعا، يا حبيبتي - 233 ص.
- سمير العيادي : صخب الصمت - 209 ص.
- الطاهر علي عمران : الشيخ كرامة - 171 ص.
- عبد الرحمان عمار : وردة ورصاصات - 218 ص.
- 1971 محمد صالح الجابري : انه الحريف يا حبيبتي - 168 ص.
- البشير خريف : مشموم الفل - 141 ص.
- 1972 فاطمة سليم : نداء المستقبل - 173 ص.
- ناجية ثامر : سمر وعبر - 135 ص.
- 1973 الطاهر ثيفة : نسور وضفادع - 230 ص.
- محمود التونسي : فضاء - 121 ص.
- محمد المرزوقي : أحاديث السمر - 197 ص.
- عبد الواحد براهيم : ظلال على الأرض - 157 ص.
- رضوان الكونني : الكراسي المقلوبة - 120 ص.
- يحيى محمد : حوار في الظل - 163 ص.
- أحمد العش : لطيفة - 147 ص.
- 1974 محمود المسعدي : مولد النسيان - 153 ص.
- أحمد ممو : لعبة مكعبات الزجاج - 153 ص.
- فاطمة سليم : التجديف في النيل - 121 ص.
- 1975 عبد المنعم يوسف : اطياف قرينتي - 60 ص.
- محمد الهادي بن صالح : الحلقات الملونة - 119 ص.
- محمد رشاد الحمزاوي : طرننو - 191 ص.
- عروسية النالوتي : البعد الخامس - 157 ص.
- 1976 سمير العيادي : زمن الزخارف - 123 ص.
- 1977 محمد صالح الجابري : الرخ يجول في الرقعة - 117 ص.
- عبد الواحد براهيم : مربعات بلاستيك - 112 ص.
- أحمد الطويل : قسمة وطرح - 124 ص.
- محمود بلعيد : أصداء في المدينة - 153 ص.

- محسن بن ضياف : كلمات على جدار الصمت - 143 ص.
 محمد الحبيب الساملي : مدن الرجل المهاجر - 126 ص.
 محمود طرشونة : نوافذ - 143 ص.
 يحيى محمد : أحاديث النسيان - 108 ص.
 أحمد العش : نجم أخضر - 102 ص.
 1978 ناجية ثامر : التجاعيد - III ص.
 عبد القادر بلحاج نصر : البرد - 107 ص.
 1979 حياة بن الشيخ : بلا رجل - 210 ص.
 نافلة ذهب : أعمدة من دخان - 85 ص.
 محمد المختار العبيدي : الضحك بلا حد - 131 ص.
 حسن نصر : 52 ليلة - II4 ص.
 1980 محمد الدرويش : شبحها ولعنة الرب - 52 ص.
 محمد بن عاشور : يا قوم لا تتكلموا - 63 ص.
 أحمد ممو : زمن الفئران الميكانيكية - 159 ص.
 عبد القادر بلحاج نصر : أولاد الخفانة - 168 ص.

② - الدوريات : <http://Archivebeta.Sakhril.com>

بصفة عامة نشرت الصحف والمجلات التونسية 1500 قصة قصيرة من 1968 إلى 1980 ومن هذه الكمية علينا أن نطرح النصوص التي جمعت في كتب وهي 720 فالنتيجة هي أن العدد الباقي هو 780 ، إذن عدد القصص في المجلات قد يساوي عدد القصص في الكتب ، ولكن هل يجب على الباحث أن يعتبر كل هذه النصوص مادة خاما جديرة بالدراسة ؟ لأن عدد المؤلفين يقوت هو بدوره إلى 200 والأغلبية لهم نص واحد فقط .

مثلا نشرت **الصدى** 92 قصة لـ 48 كاتب منهم 10 لهم كتاب .
 ثم **الملحق الثقافي للعمل** نشر 109 قصة لـ 46 كاتب منهم 15 لهم كتاب .
 كذلك **الفكر** في الفترة المعنية نشرت 342 قصة لـ 121 كاتب منهم 29 لهم كتاب .
 أو مجلة **قصص** دائما في تلك الفترة نشرت 443 قصة لـ 113 كاتب منهم 30 لهم كتاب .

- ومجلة **الاذاعة** نشرت 176 قصة لـ 90 كاتب منهم 7 لهم كتاب .
- وجريدة **بلادى** نشرت 98 قصة لـ 45 كاتب منهم 8 لهم كتاب .
- ومجلة **ثقافة** نشرت 23 قصة لـ 14 كاتب منهم 6 لهم كتاب .
- ثم مجلة **الشباب** نشرت 60 قصة لـ 39 كاتب منهم 8 لهم كتاب .
- ثم **مرآة الساحل** نشرت 54 قصة لـ 26 كاتب منهم 0 لهم كتاب .
- ثم مجلة **الحياة الثقافية** نشرت 43 قصة لـ 34 كاتب منهم 15 لهم كتاب .

وقد اخترت ان اترك جانبا عن عرضى من له اقل من عشر أقاصيص لان الادب عمل وانتاج أولا وقبل كل شىء، فبقى لى بعد هذه التصفية 15 مؤلف لهم أكثر من عشر نصوص غير منشورة فى مجموعات وهى بالترتيب الابدعى للقبهم :

- ابن بلقاسم نور الدين
- ابن مراد ابراهيم
- باردى محمد
- بنت البحر <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- التبائية نتيلة
- الجلاصى زهرة
- جنات محمد المختار
- الحلائقى عبد الله
- رزونة يوسف
- الشملى على
- الصيد نعيمة
- عجيبة بوراوى
- عزونة جلولى
- الغالى رشيد
- انطوى محمد العروسى

فحاسبها كل هذه النصوص يمكن ان اعتبر ان المادة الحام تمثل ما يقرب من 70 كتاب لـ 50 كاتب في ميدان الاقصوصة بين 1968 و 1980 .

ت - المعايير :

ما زلنا في الجزء المنهاجي واصل الآن الى المعايير التي اعتمدتها في تصنيف الاقصوصة التونسية ، وأنا في ذلك لا أبسط نظريتي في هذا الجنس من الادب وإنما أحدد الطريقة التي اعتمدتها في التمييز .

① - أولا : الكتابة :

هنالك من يكتب كتابة خطية أعنى أنه يحترم القواعد المعروفة بداية من الفعل ثم الفاعل ثم المفعول به وذلك في كل الظروف بدون بحث عن طريقة فنية ، وهنالك أيضا من يكتب حسب شخصيات النصوص أو حالاتها فيصبح النص يتفرع بين مستويات اللغة منها الدارجة ومستويات التعبير المختلفة ، وهنالك من يكتب كتابة آلية تجعل النص جمع كلمات أو أحيانا جمع حروف وعلى القارئ أن يفهمها حسب إمكانياته ، هذا هو المعيار الاول .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

② - ثانيا : مفهوم الكيسونة :

إن الاديب فنان يكتب كلمات فجمل ف فقرات فنصوص يمر من خلالها معنى معين منسق فيحلل مؤرخ الادب هذا الانتاج ويخرج منه أفكارا متماسكة على انسجام ما ، فوجود هذا الانسجام أو عدم وجوده ن وسائل التمييز بين الكتاب .

③ - ثالثا : رؤية الزمان :

إما أن يكتب المؤلف الاحداث القديمة لفائدة أخلاقية في غالب الاحيان لانه موجه الى الحكمة .

وإما أن يكتب ليسجل ما وقع حوله من حوادث يومية أو غريبة لانه لا يريد أن تضمحل في النسيان .

وإما أن يكتب ليخلق شيئا جديدا اعتبارا أن الادب اتجاه الى المجهول .

④ - رابعا : وجهة النظر الى الادب بحد ذاته :

وأبقى في منزلة بين منزلتين فأننى من جهة لا اعتقد أن الفحوى « الثورى » يكفى لجعل نص أدبا ومن جهة أخرى لست ملتصقا بصفة عمياء للشكل فان الجديد فى الشكل لا يكفى ليجدد الادب .

وخلاصة القول : انى بحثت عن الثوابت فى النصوص المدروسة لذلك اذا وجدت كاتباً أغلبية نصوصه من طراز وله نص واحد من طراز آخر اعتبرت هذا النص الاخير استثناء فى انتاجه .

كذلك أيضا اذا وجدت كاتباً تغير عدة مرات فى الشكل واذا دل التحليل على أنه بقى متمسكا بمضمون واحد حسبت التغيير الشكلى ثانويا ، وكما ترون فهذه المعايير تدخل فى نطاق محاولة شخصية لفهم جزء من الادب التونسى المعاصر .



ARCHIVE

II - المراجع :

١ - الكتب :

- محمد فريد غازى : الرواية والقصة فى تونس - 1962 - 126 ص .
(بالفرنسية) .
- محمد صالح المراكشى : أهم الاغراض الاجتماعية فى نماذج من القصة العربية من خلال أهم المجلات والصحف - 1970 - 116 ص .
- يوسف بن ساسى : القصة التونسية من خلال مجلة قصص من العدد الاول الى العدد التاسع - 1971 - 243 ص .
- محمد صالح بن عمر : أشكال القصة الجديدة فى تونس - 1972 - 62 ص .
- عز الدين المدنى : الادب التجريبي - 1972 - 127 ص .
- أبو زيان السعدى : فى الادب التونسى المعاصر - 1974 - 225 ص .
- محمد صالح الجابرى : القصة التونسية نشأتها وروادها - 1975 - 211 ص .
- محمد صالح الجابرى : دراسات فى الادب التونسى - 1978 - 279 ص .
- محمد الهادى العامرى : القصة التونسية القصيرة - 1980 - 211 ص .

ب - المقالات :

- « الفكر » عدد خاص - أبريل 1959 - ص 613 - 704 .
- صالح القرمادى : « القصة فى تونس منذ الاستقلال من خلال المجلات التونسية » فى **حوليات الجامعة التونسية** 1965 - ص 75 - 132 .
- أحمد ممو : « الرسم الفنى من خلال القصة التونسية » فى **الثقافة** - شتاء 1969 - ص 6 - 10 .
- سمير العيادى : « ماثورات من قصص » فى **قصص** - أكتوبر 1968 - ص 129 - 140 .
- محمد صالح بن عمر : فى **العمل** - 27 مارس - 3 - 10 - 17 أبريل 1970 ومن 14 أوت الى 2 أكتوبر 1970 .
- محمد المختار جنات : « بيان قصص » فى **العمل** - 24 أبريل 1970 .
- البشير بن سلامة : « أضواء على القصة التونسية المعاصرة » فى **الفكر** - أكتوبر 1970 - ص 9 - 20 .
- ابراهيم بن مراد : « محاولة فى دراسة الاتجاه القصصى بتونس » فى **الثقافة** - جانفى 1971 - ص 17 - 27 .
- عمر بن سالم : « أربع سنوات عن حياة مجلة قصص » فى **قصص** - جانفى 1971 - ص 93 - 137 .
- محمد الحبيب عباس : « السرد القصصى وأدب القصة فى تونس » فى **قصص** - جويلية 1971 - ص 9 - 39 .
- محمد عجينة : « أشكال القصة الحديثة فى تونس » فى **بلادى** - 2 الى 8 ماي 1977 .
- **الحياة الثقافية** : عدد خاص - أكتوبر 1977 - 124 ص .
- الحبيب حمادى : « القصة القصيرة التونسية » فى **قصص** - جانفى 1979 - ص 21 - 29 .
- محمد مومن : فى **لا بريس** 16 - 17 - 18 - 22 - 23 - 24 أبريل 1980 و 22 ماي 1980 (بالفرنسية) .

- جان فونتان : ترجم الى الفرنسية وقدم فى مجلة **إبلا** - بداية من 1968 - قصصا قصيرة لـ 21 مؤلف .
- جان فونتان : قدم فى مجلة **إبلا** كذلك كل الانتاج القصصى من 1973 الى 1979 فى أربع مقالات .

III - التبويب :

أ - عالم أخلاقى :

يكون الكاتب عالما خاصا بطرق فنية مختلفة وعلى مؤرخ الادب ان يبحث عن هذا العالم . أن يبرز مقوماته ، وقد يكون هذا العالم مبنيا على درس اخلاقى موجه الى القارى، بصفة غير مباشرة وينتمى هذا الدرس الى بعض الميادين المعروفة فى الآداب عامة .

الميدان الاول : هو الوطن الذى وجدناه فى كثير من نصوص عبد الرحمان عمار موضوعها المعركة ضد الاستعمار وهى معركة ممزوجة بالحب ، وإن كانت هذه الاقاصيص صحيحة البناء فإننا نلاحظ نقطة ضعيف فيما يخص وصف العمليات العسكرية ولو تنفسنا رائحة الدم وتشبهها نصوص عبد الواحد براهم التى عنوانها ظلال حمراء وظلال أخرى وهى شهادة أكثر منها فنا فان الحركة والحوار والوسط عادية ترجع الى أشخاص عاديين يتكلمون بلغة عادية ولكن تشير بعض المعطيات الى تطور بطيء نحو حريق المطر حيث « تكون العادة الى نقطة الصفر ... ربما فى انتظار جيل آخر » .

الميدان الثانى : فى العالم الاخلاقى هو **التقليد** بكل معانيه الايجابية والسلبية فان « أحداث السمر » لمحمد المرزوقى تؤدي الى تأمل فى عمق حياة لم نعد نراها إذ وقعت هذه الحكايات قبل الاستقلال وتركت فى نفس المؤلف حيننا نشعر به أيضا فى كتب ناجية ثامر وهى تركز على الوفاء والاخلاص فى كل مراحل الحياة العائلية إما باطاعة الاولاد أو بالصبر اللازم أمام الصعوبات خاصة فى وقت الخطوبة أو بالتسامح فى وقت مفارقة الاولاد ، ونرى ان الاثبات على هذه القيم يهيم الظاهر على عمران إذ يكتب « خلق الانسان ليحطم كل عقبة » لكن الطريق هل تنفرج ؟ وما هو دور الزمان ؟ هذا السؤال الاخير موجود فى كل اقاصيص محمد العروسي المطوى تقريبا ويدل هذا التفكير

حول مفهوم الزمان على ثقل الماضي والذكريات في ذهن صنف معين من الناس .

الميدان الثالث : في العالم الاخلاقي هو **الوهم** كما تصوره اقايصص احمد الطويل حيث تنتصر الاحلام مهما تكن التساؤلات في هوية الحبيبة أو الذات ، طبعاً نعرف الذكر الذي يعتبر أن الأنثى لا شيء، دونه لكن الاعتماد على العصر الرومنطقي لا يكفي لتكوين أدب فتفهم لماذا يكتب « وإذا بى أعانق الفراغ » أو « حكم السماء لا يرد » فهل أقارن هذا الانتاج بالاقايصص السبعين ليحيى محمد ؟ يقول : « إن الاقصوصة هي الجانب الآخر للصورة ... أو لقطة عابرة ... فالمشاهد التي أخذتها فرضت نفسها بحكم الزمن » فلا تخرج كثيراً هذه النصوص عن النضال والعاطفية في طريق البحث عن حقيقة الذات على صورة شيخ القرية الذي يرفض أن يغادرها فلنسمع أيضاً يوسف رزوقة : « ما أتعس الانسان الذي يأكل نفسه » ويأكلها بالذكريات عن الحب وإن كان ذلك بخلفية النزوح ويستطيع أن يكتب : « ماذا أفادنى شعري » .

الميدان الرابع : في العالم الاخلاقي هو **الارشاد** فما هو عبد المنعم يوسف تتسم اقايصصه كما كتب هو نفسه « بالنظرة الشمسية الى ما فى الوجود من خير وجمال وفضيلة ومن شأنها تعين على تنشئة صالحة واتباع سلوك قويم » فنقرأ أن « الحياة فى جوهرها حلم واسع » وهذه النية الطيبة فى الاصل الناقصة فى التطبيق نجدها أيضاً فى محاولات أحمد العش الذى يبدأ بأن يحاور فتاة بطريقة رسائل . ولكن أين هذه الفتاة المثالية التى تعيش فى جو رومنطقي ؟ وكيف سنقبل هذه التأملات فى الفن والعبارات الاخلاقية والنصائح الأبوية ؟ هذا هو النوع من الحكم الموجودة فى كتاب هند عزوز فانها تعالج مشاكل الأسرة المحددة بتقنية لا بأس بها وحسب تخطيط واضح ينتقل من الفتاة التى تصبح تحب الى الزواج فالاولاد فكل شيء يحدث على غاية من التفاؤل فى مجتمع متوسط هادئ .

ب - عالم مخضرم :

بين النصوص من النوع الذى رأيناه حالا وبين تجارب الطليعة الاخيرة المسافة بعيدة يتجول فيها عدد كبير من الكاتبتين أو حتى من الكتتاب اعتبر البعض منهم فى عالم مخضرم أضعه فى الصنف الثانى من التبويب ، طبعاً التسمية غير واضحة قد أدققها من خلال التقديم .

ثمة أولى : فى العالم المخضرم تستعمل الكتابة على مستويات مختلفة يدخلنا مصطفى الفارسى بهذا الاسلوب جوا خاصا لا يخلو من التباس فى الموقف بين الحياة والموت فما هو مصير صراع الفتاتيش ولماذا اثنان واثنان تساوى خمسة إلا لان الحياة لها معنى آخر ولكن هل يمكن للانسان أن يفر من الجزيرة ؟ ويحاول الطاهر ثيثة ان يجيب عن السؤال ولذلك يكتب بطريقة شبه رمزية لان الغرض السياسى واضح وهو نتيجة حوار مع الوضع الانسانى ووجه الاختلاف عن الادباء الآخرين هو النبوة فدنيا الحيوان متماسكة والاشخاص أهميتهم أقل من أهمية الحالة العامة ، ومن لا يرى حداثة « دنيا الكلاب » أو « جنون سقراط » ؟ والحداثة متبينة بطرق أخرى مع حسن نصر فى كتبه الثلاثة الليلية فحسن نصر بطل التصغير الفنى الذى يصل فى حين من الاحيان الى الغرابة والى الحارق الذى يعبر عن كينونة ممزقة ، ويدل قصر النصوص على هذه التفرقة فعلى القارى ان يغير نظره الى الواقع وهو واقع هزلى تارة ومأسوى تارة أخرى .



ثمة ثانية : فى العالم المخضرم تجمع كتابا من الطراز الكلاسيكى الجديد وهم يعتمدون على تغيير جزئى للشكل ، فمثلا نشر محمد المختار جنات قصصا أطول بكثير من قصص الكتاب الآخرين وتقوم كتابته على مزج القديم والحديث معبرة بذلك عن « الثقب » الذى يحدثه الكاتب فى الجهة الخفية من الذات لان كل إنسان يستطيع أن يرى ما يبحث عنه داخل هذا الثقب ويظهر التفسير بواسطة التقابلات أو بحلول شخص محل آخر فى انتاج محمد صالح الجابرى ويدل ذلك على عدم إثبات الاسس والنتيجة هي ان الانسان من الممكن ان يحكم عليه بالتخلى عن لعب الشطرنج الذى يمثل المجتمع ويصبح المزج مع محسن بن ضياف بالذكريات الادبية التى ينتج عنها صراع ، فهل يكون صراعا للحياة ؟ إن دور المثقف يحذر منه المسؤول فيبدو للثانى أن الاول يبنى على الاحلام ، فنفهم ابتداء من هذا التفكير رد فصل موجود فى كتاب محمود طرشونة أيضا ضد الظلامية وبعض التصرفات التقليدية والمنافقة ، ولئن وجدنا نداءا للتضامن بين الناس فموقف المؤلف من وضعية المرأة غير واضح يبدو أنه يعتمد على الفريزة أكثر منه على فهم عميق فيصعب تصوير هذه الدنيا بصفة دقيقة كما فعل بوراوى عجينة وهى تظهر « كحلقات ملونة » حسب كتاب محمد الهادى بن صالح فان هذه الالوان تبديل للشقاء

والتناقضات الموجودة في الشارع يعنى في المجتمع وقد يكون السجن احسن من الحرية غير الكاملة والغريب ان بعض الناس يستطيعون أن يبقوا طبيعيين.

ثلة ثالثة : في العالم المخضرم تدور شواغلها حول مشاكل التعلم إن صح التعبير من ناحية الطالب أو من ناحية الاستاذ أو من ناحية الكاتب والخطر في ذلك ان تكون الكتابة عالما مغلقة ، فرشيد الغالى يرى مثلا حتمية القدر من خلال التاريخ فكيف سيتحرر الانسان من الكبت ؟ بالشعر ؟ أم بالقن ؟ أم بإشارات الى حكايات شهرزاد ؟ والا تكون هذه الوسيلة طريقة سريعة الى الشيخوخة ؟ إن بطل جلول عزونة يهدى أيضا قصيدة عوضا عن تحفة نفيسة ويبدو ان المثقف هذا الذى له رأس ثقيل أو الذى يكتب باحثا عن الكنز الذى وجده في اعماقه أو حول أحداث داخل النفس وداخل الواقع وكذلك في نصوص محمد باردي يلاقى الشخص القوة التي تحرك النفوس لانه يريد أن يحطم الشيء المعتاد لئلا يكون سجين الماضي ، هذه أمنية عند الاستاذ على الشملى فمن المستحيل الرجوع الى الوراء خاصة امام التلامذة وهم يصرون على غير العادى ، لكن هذا المشروع ينعتة عبد الله الجلائفى أنه جرى مع الظل في غرفة اسفنج تنضج بلا معنى .

<http://Archivebeta.Sakhr.it>

ت - عالم يومى :

راينا إذن كتاب العالم التقليدى وكتاب العالم المخضرم وفيما يلى أقدم هؤلاء الذين ينتمون الى هذا التيار المسمى بالواقعية ويشعر القارىء عند مطالعته ادبهم انهم وجدوا توازنا بين الدال والمدلول .

① - راند الواقعية ما زال موجودا في سوق الادب وهو البشير خريف الذى نشر مجموعته « مشبوم الفل » سنة 1971 ، وقيمة نصوصها الفنية والوثائقية لا نقاش فيها ومن تابعى هذا الراند اذكر رشاد الحمزاوى مع « طرنو » حيث يمثل التغييرات الاجتماعية بطريقة صدى أدبي ، ومن أهم التغييرات النزوح من الارياف والهجرة الى المدن وعمله ليس خلقا فقط بل كان في بعض الاحيان عمل سابق ، ويشبهه محمود بلعيد الذى ينقل في الظاهر الحياة العادية لكنه فى الباطن يصل الى شيء مبهم يجعل القصص جذابة وهو الوحيد مثلا الذى يختص بحكايات كاملة ومستقلة للطبقة الصغرى من

أوربيى العاصمة فى وقت الاستعمار فعلينا ان نفهم فى نفس النطاق كيف تعبر فاطمة سليم عن فشل نوع خاص من قيم الماضى فتظهر صراحة عدم اعتبار العصبية القبائلية أو من جهة أخرى تطور طلاب الجامعة النفسى وكل هذا باستعمال ما يقرب الى اللوحات او المواقف المشار اليها .

② - هذه الطريقة الادبية مفضلة عند بعض الكتاب الجدد فلنسمع نور الدين بن بلقاسم وهو يعترف بنفسه هذا الانتماء ويبسط عرضا حول التمثيلية الاجتماعية والمستغلين وضرر المثالية فى وسط الشباب والامية الخ. ونلاحظ نفس التأصيل فى خصوص رضوان الكونى حيث يعيش الاشخاص عادة فى المقهى وهو تصغير الدنيا الرجالية ومكان مثالى للتأمل حتى فى الموت وتكون «حكايات الصمت» واقعية للغاية كما فى أقاصيص بنت البحر التى نجد فيها بعض هذه الاغراض مع شيء خاص يصور مشاكل الفتاة منها القناع والمرأة مثلا مع الملاحظة ان جل نصوصها مبنية على الضمير المتكاسم والفرق بينها وبين محمد الحبيب السالى عندما يعالج قضية الهجرة الى المدن ضئيل يقتصر فى المحام خاص عند الثانى على العمارات الكبرى إزاء ذكرى الحبيبة التى ما زالت عائشة فى القرية وهاتيك مرادفة بين تلك الفتاة والأم والعنصر المانع مهما يكن البحر أو العرق أو الطر أو الدموع - ويزيد محمد المختار العبيدى على ذلك شيئا من الظرف وتلك الحيلة يستطيع ان يتكلم عن الضياع بطريقة فنية خالصة فالهامشيون وعمال الريف والطلبة فى الاحياء الشعبية كلهم ممثلو طبقة وحيدة فى نظره وكيف لا اذكر الاقصوصة التى عنوانها « المفعول بها » قبل ان اصل الى محمد بن عاشور ولوحاته البسيطة وكلها موضوعها لا يخرج عن وسط معين وهو المجتمع المحلى فى رأى كاتب « تيس » حسب قوله .

③ - ومشيرا الى هذه الصعوبات أنتقل الى وجهة نظر أخرى لا تخرج عن إطار الواقعية ولكن مع فارق ما فلنأخذ مثلا أقاصيص ليلي مامى ونداءها الى الحرية إزاء سلطة الرجل تعبر عن هذا النداء من خلال حكايات يومية يعيشها اناس كثيرون وتقول المؤلفة إن كلامها « صدى لآلاف النساء فى ربوعنا الضائعة » ويكون هدفها حياة قوية حياة للفن للمرأة التى اكتشفت الحقيقة ، اذن وجدنا أنفسنا أمام ثورة نفس الثورة التى تريدها حياة بن الشيخ فموقف المرأة فى أقاصيصها يميل الى اليأس لانها أمام سوء التفاهم وأمام حياة كلها

عبث ، إن الحوار غير موجود وكما تقول « أموت ببطء دون أن أستطيع أن أفعل شيئا » والثورة هذه هي التي أيضا تكون موضوع اقاصيص نعيمة الصيد فالوحدة حزينة والشعور بالفراغ مسيطر على النفس فهل يعطى الآخر قيمته الحقيقية للجسم ؟

ث - عالم متحول :

يبقى لنا أن نرى نوعا آخر من التصوير الادبي بطريقة الاقصوصة. وكتبت الكثير عن هذا الاتجاه والآن اكتفى بتقسيمه الى قسمين حسب فهمي له :

① - وكما سميت البشير خريف رائد الواقعية اسمى عز الدين المدنى رائد التحولية لقراءته الجديدة للتراث التاريخي وكتابته المكسرة ولحضوره في كل ميادين الادب ولثباته في الحقل ولشجاعته في النشر مهما يكن الثمن فلا تدخلنا « خرافات » في الهداية فقط بل تفتح المجال ايضا لكوكبة من المؤلفين منهم سمير العبادي وهو يرفض المألوف لينكر الاضطهاد والطغيان في فقر تجربة القصة وفي التخلف كذلك وتنتج عن هذه النصوص مرارة لكنها حية لان البطل الجديد هو الكلمة وإن رسم سمير العبادي يجعل مطبقة فان محمود التونسى يرسم فعلا ويصبح النص مزجا من نوعي الكتابة اعنى الرسم والكلام وتطلب قراءة هذه الاقصيص عمل اخراج كما تدعو الحيال دعوة ملحة وتنتهي التجربة بانتصار النص على القاري، فيقتصر النص في وصف الانسان الجديد بعد الاستقلال ، وأي علاقة بين هؤلاء وبين عروسية النالوتي فادبها كما قال صالح القرماذى : « ادب الغدة » وبما ان المحاولات الفردية تفشل فهل يكون الخروج من الذات والسعى الى الجماعة ممكنا لايجاد الحياة الحقيقية في الشارع؟ ويختص خصوصها الانزياح تعبر عنه بالحاحها على التعفن وهو يؤدي الى الانتحار إن عدم الادراك والابلاغ موجود ايضا بكثرة هند نقيلة التباينية حيث يفضل الاشخاص الليل على النهار والموت على الحياة والآخر على الذات في إطار الجوع والفقر بين طبقات المجتمع المختلفة وتهيئنا كل هذه الاشارات الى فهم اقاصيص عبد القادر بلحاج نصر حيث نرى ان الكتابة فعلا الارادة لتطبيق البحث والشجاعة على حالة الشعب ويشعر القاري، بهذا التردد الخاص للكتاب الذين قدمتهم الآن فلكل شخص إمكانيات متنوعة في التمثيل فهل سنتنهي

الحكاية بالشئ في تلك المدينة الملعونة ؟ وهل نجد الجواب عن هذا السؤال في أدب التلاشي هذا ؟

② - كوكبة ثانية في العالم المتحول وتحت تأثير نفس الاهتمامات لكن أفراد هذا الصنف الثاني يبدو لي أنهم جاوزوا بعض المشاكل الشكلية البحتة ليعبروا عن وضع لم نره قبل في الانتاج القصصى فتوحى زهرة الجلاحي الى أمر لا يمسكه بعد إحساسنا واذن لا نفهمه فهما جيدا فعلى قارى، نصوصها ان يهتم بمعطيات تختلف عن الظاهر ونرى ذلك باستعمالها ألوان غير عادية مثلا ، ثم أحمد مم وهو يكتب بأسلوب سلس وإيقاع متماسك يمزج بين المحاولات السريالية وبين التأصيل في الحياة الملموسة القذرة التى يبحث فيها الانسان عن نوعيته ، أما نافلة ذهب فهى تترك القارى، وهو فى حالة غربة وتردد على عتبة دنيا الخلق الفنى والادب التجريدى فى أسلوب وجيز الى الغموض كما لو راينا من خلال زجاج شفاف ويصل هذا الغموض مع ابراهيم بن مراد الى اللامعنى او الى باطل الاباطيل ويستعمل هذا المؤلف إشارات عديدة الى الثقافات الأعجمية القديمة لكن هذا الرجوع لا يفيد الا بالوصول الى « اللاشيئية » حسب تعبيره المفضل وكما كتب أيضا إن « الكلام كله على هذه الوتيرة غير مفهوم » أما الدرجة القصوى للتجليل والحارق فهى موجودة فى نصوص محمد الدرويش فتقرؤها وأنت تشعر بنفسك تفوص فى النسيان والغياب والفناء وحتى الآن هذا الادب فريد من نوعه فى تونس .

* * *

وفى الخاتمة ما هى فائدة هذه المحاولة السريعة ؟ وضعتها فى نطاق تاريخ الادب وهو يحتاج أولا الى قائمات كاملة شاملة للمصادر ليعرف الباحث على ما يجب عليه ان يعتمد فى الدراسة ويحتاج تاريخ الادب ثانيا الى بداية فى التبويب والى اقتراحات أولى أقرب الى الوثيقة منها الى التحليل العميق لا تنسى فى مرحلتها الاولى نصوصا قد تظهر ثانوية فيما بعد .

والآن ما هى استنتاجات هذا العرض ؟

① - جل كاتبى الاقصوصة فى تونس هواة لا يواصلون الكتابة .

② - لم يبرز قصاص على الجماعة . وإن طلبتم مني أن أذكر اسما واحدا فاقول حسن نصر .

③ - تكون الاقصوصة التونسية نوعا خاصا من الادب لا علاقة له بعد بالقصة القصيرة في الغرب وفلا تمثل هذه الاقصوصة تطورا بالنسبة الى القصة القصيرة الغربية لكنها الآن جنس مستقل .

④ - يمكن أن أعرف الاقصوصة التونسية المعاصرة قائلا : انها نقل القصيدة نثرا .

⑤ - يمكن ان نقسم الاقصوصة التونسية الى ثلاثة اقسام .

ادب ذكرى حديثة ، وادب وصف ، وادب خلق .

يرجع كل قسم الى الماضي والحاضر والمستقبل .



جان فونتان

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

التحقيق

عم سليمان رجل فقير ، لكنه يحب نشوة المساء فيشتري - كلما أخذ المحرووف من صاحب الورشة التي يشتغل بها - قارورة يدهسها في حقيبة الفطور .

عم سليمان رجل فقير ويحب الكبدية كثيرا ، كان يقول لزوجته : ان الكبدية احسن « كمي » فتحلى اسميته كلما أخذ المحرووف بين القارورة والكبدية .

عم سليمان يحب زوجته كثيرا ويعدها كل يوم بأن يشتري لها « شلاكة » جديدة حين يمدد عرفة بالمصروف ، وعم سليمان لا يفعل مرة واحدة أن يشتري علبتي « ياغرت » لطفله الوحيد .

★ ★ ★

أسرع خطاه حاملا حقيقته الصغيرة الجديدة ممثيا نفسه بأسمية لطيفة يقضيها مع زوجته وابنه ويشبع من الكبدية وينتشى بالقارورة ، بينما يكون طفله قد دهن وجهه بعلبتي الياغرت ... شاهد الحافلة من بعيد فهرول في اتجاهها كي لا تفوته ، محافظا على عدم شقشقة الحقيبة كي لا ترتطم القارورة بعلب الياغرت وصحن السرر ... سمع عم سليمان ضجيجا خلفه وصوت أناس يصيحون : ها هو ! انه هو ! انه هارب ! لم يعتن عم سليمان بأمرهم ، فهو يخاف لو فاتته الحافلة أن ينتظر ساعة أخرى ، وهو يريد أن يصل مبكرا الى داره لتطبخ زوجته الكبدية ويلعب مع طفله الصغير . لذلك زاد في سرعته . لكن الحافلة انطلقت ، فتسمر في مكانه ناديا حظه حين لحقت به القافلة الصاخبة وامراة تصيح : انه هو !! .

امسكوه !! ففغر عم سليمان فاه ، بينما مسكه الشرطي من يده قائلا : معي الى المركز . صاح عم سليمان وهو رجل كهل ومستقيم : ماذا هناك . جذبه الشرطي بقوة من يده ، فخاف عم سليمان أن تنكسر القارورة ، وتدعس علبتي الياغرت ، وسار مع الركب نحو مركز الشرطة .

- اسمك يا ابن !!!
- سليمان النجار .
- عمرك
- خمسة واربعون عاما
- مهنتك
- معاون بناء بورشة الاشغال العامة
- حالتك المدنية
- متزوج ولى ابن واحد ..
- الا تستحي .. يا نذل ... رجل مثلك متزوج وعندك طفل وتقدم عل عمل كهذا
- يا سيدى ... أنا لم افهم شيئا
- نكرانك لن يأتى بنتيجة
- نكران ماذا .. ونتيجة ماذا
- قل الحق ... لماذا اختلطت الحقيبة من يد هذه المرأة
- اية امرأة
- صاح رئيس المخفر فى احد اعوانه
- نادى السيدة
- قال عم سليمان
- يا سيدى الرئيس ...
- صاح رئيس المخفر :
- اخرس يا كلب ... يا ابن الكلب
- دخل الشرطى ووراء امرأة متوسطة العمر ... ما ان اقتربت منه حتى صاحت فيه :

- يا نذل ... « تفوه عليك » !!

سأل رئيس المركز المرأة قائلاً :

- انظري الى الحقيبة .. امي نفسها ، قالت المرأة : هي ... هي حقيبتى السوداء

والتفتت الى عم سليمان وبصقت عليه ثانية ... وخرجت مع الشرطى الى المكتب المجاور

وقف رئيس المركز ، واتى بجانب عم سليمان وصفعه صفعة غارت لها عيناه
- ماذا تقول الآن

- اقول ماذا ... انا لم أفهم شيئاً ... فهمونى يا قوم

مسكه رئيس المركز من اذنه وجذبها ، فخال عم سليمان أن اذنه طالت واصبح كالبحار .

- رجل فى عمرك يترصص النساء ... وينتشل الحقائق ... يا كلب

- لم انتشل حقيبة

- وعذه التى عندك

- حقيبتى

- انت لا تفهم باللين ... يا شرطى اخلع حذاءه

اقترب الشرطى من عم سليمان ... ازال الحذاء من رجليه ففاحت رائحة لا تطاق .. رفعت رجلاه الى فوق وانهالت عليها عصا رئيس المخفر ضرباً ، وعم سليمان يصيح ويستغيث ... حين تعب الرئيس رمى بالعصا فوق المكتب وأمر الشرطى بأن يجلسه من جديد قبالة مكتبه

- قل لى ... لماذا انتشلت هذه الحقيبة من يد المرأة ؟

تمالك عم سليمان نفسه وأجاب بصوت مبحوح :

- أقسم لك ان الحقيبة حقيبتى وبها رطلان من الكبدية وعلبتا ياغرت .

ولم يزد على ذلك خشية ان ذكر قارورة الحمر ان يؤول الامر ثانية الى رفع رجليه .

- اذا هذه المرأة كاذبة

- يا سيدى لم ار هذه المرأة ، انا انسان مسكين ، قبضت هذا اليوم المصروف من صاحب الورشة ، فاشتريت ما ذكرت لك .. وانا فى طريقى لركوب الحافلة التى فاتتنى قبضتم على .

- والشهود

- اى شهود

- الذين راوك وانت تجرى ماسكا الحقيبة

- يا سيدى كما ذكرت لك كنت أجرى لالحق بالحافلة

- ... وهكذا تنجر بالغنيمة

- ياسيدى كنت أريد ركوب الحافلة للرجوع الى منزلى

<http://Archivebeta.Sakhrli.com>

- اذا لن تعترف بجريمتك

- لم ارتكب جريمة

- سأحرر ضدك محضرا

- حرر ... «طرز»

- أنت لست خائفا

- انا برىء

- «طرز» فيك وفى براءتك .. سترى كيف نستل منك الاعتراف

صاح رئيس المركز فى شرطى :

- خذه الى بيت الايقاف ولا أريد أن أرى وجهك الا صحبتته وهو معترف بما ارتكب .

مسك الشرطى عم سليمان من يده ليقوده الى بيت العمليات حين أغلق الباب خلفهما نادى رئيس المركز المرأة ، وسلمها حقيبتها وهو يعتذر لها عن ازعاجها موضحا لها أن عين الحكومة والشرطة ساهرة على مصلحة المواطنين . وأن العدالة ستقتص من أمثال هذا الوغد ، فتأخذ المرأة الحقيبة وتفكر فى فتحها لتتأكد من أن ماكياجها وعلبة سجاثرها والمنديل لا تزال بالحقيبة ، ويقول لها رئيس المركز: تثبتى سيدتى من محتويات حقيبتك، فتفتح الحقيبة وتفوح رائحة الكبدة التى اختلطت بعلبتي الياغرت بينما تصدرت من فوق قارورة الخمر ، فانبهتت المرأة وقدمت الحقيبة الى رئيس المركز الذى بعد أن رأى محتوياتها ، يضغط على زر فوق المكتب ، ويتقدم نحو السيدة معيدا عليها اعتذاراته واعدا اياها بالبحث عن النشال واعادة حقيبتها فى أقرب وقت وأن عين الشرطة فى كل مكان تسهر على راحة وأمن المواطنين والمواطنات ، عند ذلك يفتح الباب ويدخل الشرطى دافعا امامه عم سليمان شبه ميت ، فيرمى المسكين على المكتب ويقول لرئيس المركز :

– اعترف ياسيدى اننى الذى انتشلت الحقيبة ...

ARCHIVE

انا سارق الحقيبة

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

صالح النمس

هى وهو والسجن والسجان

(صامت أنت كابى الهول ، تضطرم أفكارك وعواطفك وتغلى فى رجل الأيام ، توغل فى بحر الصمت وتعود الى شواطئ الحيرة والتمزق النفسى والخوف محاربا حيانا ، فارا من ساحة القتال .. تخشى الهزيمة ، تخشى التحطم على جدار الايام وترضى بالصمت الملمع الاحشاء يقتات منك ومن ايامك . تعذب نفسك وتعذبني معك وتركني فريسة للسهد كل ليلة . أما أن لى أن الملم جراحى الدامية وأنعم بالنوم الهادئ ، بالحلب بالسعادة التى انتزعها أبى من نفسى ، من أحلامي ومن ذاكرتى بجبروته وأنايتيه وجهه للعال والمظاهر البراقة ! عاشر خطيب يتقدم لى كان فى الشتاء الماضى ، مثقفا ، وسيما فى مركز محترم يشاطرني أفكارى وعواطفى . وكنت أطيير فرحا فى انتظار الثوب الابيض والحاتم الماسى . وحين لم يجد أبى سببا مقنعا للرفض تعلل بكثرة اخواته وسوء أخلاقهم وأوهمنى بأنهن سينكدن عيشى .. رفضه مثل البقية وأرغمنى على الصمت ككل مرة وكان أن توترت أعصابى وارهق جسدى وفكرى معا ووقعت فى بئر اليأس والحزن .

أما علمت أنك الامل والحلب وقارب النجاة الذى سيرسينى على شاطئ الطمانينة ، تقدم الى أبى فانا أريدك .. أريدك وسأكون معك .

أما علمت أنك الامير الجميل وأننى الاميرة النائمة تنتظر مجيئك لتوقظها من النوم الطويل ، تبعث الحرارة فى الجسد الميت ، البارد ، المحنط عبر سنين الجذب والانتظار ، تحملها فوق جوادك الى مدن الشوق والدهشة والحياة النابضة أما أن لصمتك أن ينتهى ؟ أما أن لك أن تتكلم ؟.

« صنيورة » ملت سنين الجذب ، ملت « الروتين » المتراكم فى أيامها أربع سنوات تفصلها عن الثلاثين وهى لا تزال بلا هدف ، بلا أمل ، بلا حب يزيد من فضاة جمالها ، « صنيورة » كرهت السجن وكرهت سجانها وستثور وتعلنها حربا شعواء فى وجهه اذا رفض اطلاق سراحها .. هذه المرة قررت التمرد على « البكرى » ، قررت أن تعلن رفضها - الذى ظل مكبوتا فى

أعماقها سنين طويلة - تعلنه للجميع وبصوت مرفوع عله يثوب لرشده ويعي مأساتها والمستقبل الذى ينتظرها : عانس جديدة تضاف الى أرشيفه وضحية ثالثة تضاف الى رصيده ، تلتحق بعميتها اللتين ظلتا بلا زواج بسبب عقليته العرجاء التى ترى الحياة : سلسلة أرقام ، والزواج : عائلة محترمة متمدنة ضئيلة العدد ومن المستحب أن يكون بلا أخوات والباقي لا يهم !

يجب أن توقف هذه المهزلة التى غدت مع الايام شعارا لعائلتها ، علكة يلوكها كل الناس ، الجيران الزملاء والاصحاب ويهدون بها عزائم كل من حاولوا التقرب منها ومن أبيها خصوصا اذا كانوا من ذوى الشخصيات الضعيفة والانهازمية التى سرعان ما تتراجع فى أقوالها وأفعالها إرضاءا للناس والمجتمع وتنسى إرضاء نفسها !

هكذا هى « صنيورة » لا تملك من دنياها سوى الحلم ، الحلم ولا شئ بعد الحلم ! تجلس الساعات الطويلة تستعيد قصة أشجانها ، تقرر وتقرر القرارات العديدة دون أن تقوى على تنفيذ ما تقوله أو اليوم بما تشعر به .

زفرت زفرة حرى من قلب مكسوم ورفعت رأسها الى الصفحة السوداء المنتصبة أمامها عدة خطوط هاتفية تنادى تنتظران ترد عليها :

(... لينتظروا مثلى . أنا نفسى أنتظر حدثا ما يغير مجرى حياتى . لنتنظر جميعا ، لنحترق فى انتظار الذى قد يحدث والذى لا يحدث ، هم حتما ساجبيهم . أما أنا فما زلت أجهل عمر انتظارى . وأنت ما كنت أظنك ستترجع حين صوروا لك أبى غولا ، وحشا شرسا يفترس كل رجل يتقدم لحطبتى ، أبى طيب القلب يحبني حبا خارقا للعادة أعمى بصيرته ولم يعرف كيف يستخدمه فى الجانب الإيجابى ، ربما كان رفضه المتواصل وخضوعى المتكرر لإرادته من مشيئة الاقدار ! ربما ...) .

كنت فى تلك الاثناء الى جانبها أتأمل وجهها الغائم فى سحابة من الشرود. كثيرا ما أشفقت عليها وأحيانا كنت أعتنها بالجبن لأنها لم تحاول أن تغير من وضعها المتردى . خفت عليها من كثرة التفكير والشرود فبادرتها بالحديث :

- شاردة ، باعثة فيما تفكرين .. خطبة جديدة ؟

- ليس بالتأكيد .. من قال لك ؟

- أما تعرفين أننى خبيرة فى قراءة الافكار . إحساسى لا يخطئ أبدا . لا تضيعى الفرصة لانك قد تندمين عليها . شاب مثقف يحبك وتحبينه هذا ما قرأته فى عينيك وعينييه وأرى أنكما متناسبان .

- هو لم يتقدم بعد ، بل حدث منية فى الموضوع يريد أن يعرف رأى أنا أولا .. وأنا بصراحة لا أستطيع أن أعدده بشئ ولا أن أحسسه بشعورى نحوه أنت تعرفين أبى وطبعه الحاد .

- لا تضيعى نفسك فى برج عاجى وتنتظرين فارس الاحلام أن يطرق بابك . لا تنتظرى أن تقدم لك الاشياء فى طبق فضى . يجب أن تضحي وأن تكافحي لكى تصلى الى أهدافك ويكتب لك الانتصار .

- أخاف الهزيمة .. وأخاف أن أ فشل مرة أخرى ..

- إذن عانقى خوفك ويأسك ولا تفرطى فيهما أبدا وانتظرى رحمة السماء . سترين أن لا شئ يتغير دون أن تغيريه أنت وستبقين فاشلة فاشلة حتى النهاية . فشلك السابق لا يعنى أنك ستفشلين مرة أخرى . أعيدى التجربة قد تتجحين .. قيمة الانسان تمكن فى إصراره وصموده أمام المصائب التى تعترضه .

دقت الساعة الواحدة .. قطعت عنا جبل الكلام .. غادرنا قاعة الانتاج الهاتفى .. كان « البكرى » كمادته منتصباً بقامته الطويلة أمام الباب ، ينتظر طفلة الستة وعشرين سنة ليعود بها الى البيت . سارعت فى خطاها اليه .. اشتبكت فى ذراعه وسارا فى الشوارع الطويل ، وقفت أتأملهما وهما يسيران جنباً لجنب . وتذكرت كلاما قاله زميل جديد فى الادارة : - حين رأهما لا يفترقان فى الذهاب والاياب وبنفس الطريقة - قال : « الا يستحق هذا الكهل

حين يتزوج بفتاة جميلة كهذه وفي عمر ابنته . يومها ضحك الجميع . قلت له : إنها ابنته استغفر الله « قال آخر مازحا : « ألم تشاهد مسلسل « صنيورة والبكرى » إنهما نسخة طبق الاصل « فغرفوه وأردف يقول : « لم أكن أعرف . أنا لم أرقط أبا يعامل ابنته بهذه الطريقة « ! تذكرته وقلت في سري : « أنت على حق يا أخى لست الوحيد الذى قال هذا الكلام » .

تابعت سيرى وأنا أفكر فيها وفي مصيرها . تراها ستتصدى للاضطهاد المسلط عليها !! تراها ستدافع عن كيانها أم ستبقى طفلة على الدوام !! تراها هذا الذى يحبها وتحبه . تراها سينتشلها من سجنها ويبدى لها ما افتقدته ؟ تراها أبوها - يعي غلطته ؟ لا أدري ولا أحد يدري ، الايام ، الزمن ، هى ، هو ، الله وحده هو الذى يدري .

دليلة الزيتوني

نوفمبر 1980

- الكاف -



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

آخر منشورات صفاء

(1) طريق المعصرة (مجموعة قصصية) محمد العروسي المطوى
السعر : دينار تونسي

(2) الحركة وانكاس الشمس (رواية) محمد الهادي بن صالح
السعر : 1.500 م.

انتقام بلا حدود

احتضنته إحدى واحات الجنوب الموغلة في الانطواء والعزلة في مشارف الصحراء وهو فتى لم يتخط بعد العاشرة من عمره فعاش تحت ظلالها الوارفة ونعم باجواء الاخضرار والرطوبة فيها ، وعاش عن قرب جمال الطبيعة بمختلف فصولها وتنوع ازمانها حتى غدا حبه لهذه الواحة ولاهلها لا يعادله شئ سوى حبه لوطنه الكبير .

كان وهو في هذه السن المبكرة من طفولته يتصرف تصرف من وهبه الله بسطة في الجسم والعقل بحيث كانت الرجولة تبدو في مواقفه ، والجدية تلمس في تصرفاته حتى خشي عليه ابواه خطر هذه الرجولة المبكرة ، وخافا عليه هذا التفاوت الكبير بينه وبين اقرانه في الواحة ، وهم الذين لا يزالون متعلقين باذيال امهاتهم يتعمون بدفء الامومة وحنان الابوة . اما صابر فكان يبدو وكأنه قد تجاوز هذه المرحلة باشواط . لقد عرفه الجميع مثالا للفتوة البدوية التي لم تخالطها رعونة الحضارة وزقازقة التمدن اذ استمد من بيئته كل ما يفخر به قومه من أصالة واستماتة وصبر فبدا كبيرا في أعين كل من عرفه اذ كان مثالا للشجاعة الثابتة المتزنة البعيدة عن التهور ، وللمرونة الحذرة الجادة الخالية من الغرور : يحمي رفاقه الصغار ، ويصون حرمة آبائه الكبار ، ويقاسم اترابه الفقراء كل ما يصل الى يده او جيبه من ثمر وفاكهة ودراهم معدودات . هكذا كان أبوه يراه الناس . اما هو فكان يرى نفسه فتى متأصلا يصرف كل طاقاته وامكانياته لفائدة قومه ، وهمة يجب ان تتخطى الحواجز وعزما يجب ان تتلاش أمامه الصعاب . كان يقضى معظم اوقاته مترددا بين الكتاب والمنزل أو جالسا تحت وافر ظل النخيل الباسق ينعم بالرطوبة والاخضرار مسرحا نظره في تلك الحضرة الممتدة ع مدى البصر فلا تقلص أطرافها الا عندما يداهبها وهج الصحراء فيسرع عندئذ بالعودة الى مواطن الاخضرار حيث النبات يكاد يسمع همسه وهو ينبت فيصغى لهاتيک البنات الوليدة بالامس وهي تبث جاراتها الكبيرة اسرارها عليها تجد منهن العون على الثبات فيحتضنها في تناغم وانسجام

ويغوص في الاجواء ، وتنطوى الازمان ، وتجمع فيقترن الماضي بالحاضر ويعم الكون سكون فلا يكون يسمح معه الا وقع اقدام الاجداد ، وهى فى جيئة وذهاب تفلح الارض وتولدها الخيرات ، وغير اصواتهم المجلجلة المدوية فى الآفاق تدعو الاحفاد الى الثبات والصبر ، فلا تقوى القرية على رجع صدها فينتفض انتفاضة المذعور ويسعى لاهثا خلف هاتيك الاصوات متتبعا اثر تلك الاقدام فلا يظفر بظائل ولا يجد بين يديه الا بقية من رطوبة راسبة فى قعر الجداول وبقية من ظل بدات تخالطها اقراص صغيرة من اشعة شمس ذابلة توشك أن تغيب . فيعود لواقعه . ثم يلتفت صوب الغروب ليرى فى منعطف الوادى الاخضر الممتد امام قريته الحبيبة ، وهى منتصبه على عدوته الشرقية تودع الاصيل فيذكر مواعده ويسترجع ذهنه ويصلح من ثيابه ويسرع كما اعتاد كل مساء الى لقاء اخيه عبد النبي عند اطراف الواحة وهو عائد بقطيعه من المرعى بعد يوم مملوء بالمفاجآت اعتاد ان يكون اخوه عبد النبي بظلا فيها وطرفا بارزا مؤثر افي أحداثها .

كانت اخبار القطيع تشوقه ، ومنظره وهو عائد يروقه ، فيشده كل ذلك شدا لسماع اخباره لحظة بلحظة . كان لا شيء يشغله عن حضور هذا الموعد المحبب الى نفسه فيلقى اخاه ليخفف عنه اعباء العودة ومسؤولية سياسة القطيع ، وهو فى الطريق الى الحضيضة . كان أثناء تصرفه مع القطيع يبدي تصرفا حكيما ومرونة بالغة لكان القدر يهيؤه لشيء أهم . وكان الواحة والقرية معا تعدانه لمهمة أصعب وأخطر . اما هو فكان يحس فى داخله بشيء غامض مبهم يعجز عن تفسيره ، اذ كلما سرح نظره فى الافق البعيد بدت صورة المستقبل لناظريه موحشة قاتمة يحول دونها ودون الصفاء رداء اسود يتسلى عنه بالعودة الى اقرانه يحادثهم ويلامهم او الى لوح الكتاب يحفظ ما تيسر من سور القرآن ، او الى ظل الواحة يضييع فى رطوبته ، او الى القطيع يستلهم منه معانى الرجولة والقيادة .. كان يحس كأن شيئا خفيا ينمو بداخله .. انه تصور غريب يبدو له فى بعض الاحيان ثقل مجد الاجداد قد تجمع فيه ، فيعجز جسده الغض عن احتماله . ويراه حيناً آخر دعوة ملحة الى تخطي الزمن وقفز الحواجز لكن ما عساه أن يكون قادرا على فعله امام رتابة الزمن وتناقل الايام وهو مضطر الى الانتظار تلك الضريبة التى يدفعها الانسان من وقته صاغرا ! اذ لا أحد يمتلك قدرة الضغط على مسيرة الزمن فلا بد أن تترك كل دقيقة تمر آثارها فى حياة الانسان .

كان صابر يرى في اخيه عبد النبي المثل الذي يحتذى. كان يهيم شوقا الى تسقط اخبار مغامراته مع الذئاب ، وهى تترصده الغنم القاصية لتغير عليها فتجد فى كل آن وحين فتوة عبد النبي وحزمه لها بالمرصاد ترقب حركاتها ، وتصد هجوماتها ، وتحصى القطيع من ويلاتها . وما اعظمه من موقف يكون فيه عبد النبي متأزرا بشملته مشمرا عن ساعديه ، وييده عصا تمسك بها قبضة من فولاذ وقطايته فى حالة استنفار ترقص ذؤابتها على وقع الضربات .. انها مواقف اعتاد صابر ان يرى فيها اخاه عبد النبي طرفا بارزا . ولم يخرج من نشوة هذه التصورات الا ليجد نفسه على بد خطوات من اخيه الذى يعود هذا اليوم على غير عادته ، متناقل الخطى تجره قدماء وتقوده عصاه متعبا منهوك القوى ، والقطيع امامه يتناقل فى مشيته . لقد قضى الجميع يوما متعبا عرف فيه القطيع الرعب الاكبر ، وعاش فيه عبد النبي أكثر ملاحمه مع الذئاب حدة وضراوة ، دفع فيه من جهده وسواعده ضريبة القيادة والمسؤولية فى الدفاع عن المكاسب . أدرك صابر بأن الامور تجرى على غير عاداتها فاستحث القطيع يطوى به ما تبقى من مسافة تفصله عن ملاقة أبيه الشيخ عبد الغفار ليروى له تفاصيل المغامرة البطولية التى أبلى فيها اخوه الحسن ليجد من أبيه الاذن الصاغية والعين الساهرة والقبول الحسن . كيف لا والشيخ عبد الغفار ما فارقه الوقار قط اذ كان مثالا للرجل الحازم الجاد فى الواحة فهو من كبار سراة القوم وملاك آلاف النخيل ، فيها كانت شهرته تتجاوز حدود القرية والواحة وتتعداها الى ما وراء تراب الاقليم لتجلب له الشهوة والعداوة اذ كانت ابله تغطي السهل والوعر ولا أحد فى أطراف تلك التخوم الصحراوية يجهل قيمة الشيخ عبد الغفار الذى كان لقريته كل شيء .. كان فيها مصدر الثراء الحلال الذى فيه حق معلوم للسائل والمحروم . وكان فيها مصدر الورع والطيبة والتفقه فى الدين . كان لها اماما منه تصدر الفتاوى . لذلك كان الجميع طوع اشارته ورهن اوامره يتسابق كل أهل القرية الى طاعته كانت بفضل السعادة تلف بردائها الوردى العبق أسرته الصغيرة فهو يصرى ولديه بنفسه ، ويسهر على تنشأتهما بالموعظة والقعدة الحسنة وواقف النبيلة فشب الولدان على خير المبادئ واستلهما من ابيهما الرجولة والوقار والصبر . وهى قيم لم تكن موقوفة على ابنيه فقط بل كانت ملكا مشاعا بين أحداث القرية شبيها وشبابها . كيف لا والشيخ عبد الغفار مستودع اسرار الجميع ، وخام لا ينفذ من الاحسان والمساعدة بالراى والنصيحة والمال وهو

محط رحالهم عند اشتداد أزماتهم وتوكل أمورهم وفرار الراى المصيب عن تصرفاتهم .

فى خضم مجرى هذه الاحداث بلغ عبد النبى مبلغ الرجال فاشتد عوده وتفرس وتمرس . واصبح يشاطر اياه مسؤولية القيام باعباء العائلة . وكس تقسو البداوة على بنينا فتسارع لتحميلهم اعباء الرجولة مبكرا

انطوت الازمان وتوالى الاعوام وقفزت بعبد النبى وبلغت به مبلغ الزواج . وما هو يستعد للحدث السار فى حياته ، للحدث الذى سيتزوج شبابه بالرجولة بالمسؤولية الحققة ، مسؤولية الزواج وما أسعده من حدث فى حياة الانسان ! لقد انقضت اسابيع وتلتها ايام والجميع ممن فى القرية يتهيؤون لهذا اليوم .. انه يوم الفرحة الكبرى فى القرية لقد استقبله الجميع بفيض من الغبطة لا يوصف .. استقبله السراة بأهمية بالغة وراوا فى هذا الحدث اول فرصة تمكنهم من اكرام الشيخ عبد الغفار ، والرد على جميله بالهدايا . واستقبله عامة الناس بفرحة يقصر عنها الوصف . وما هو عبد النبى يبنى النفس بهذا اليوم الذى سينعم فيه بقرب الطبيب !

انطلقت الافراح حثيثة ، اختلطت الزغاريد فيها بلنقات الطبول وامتزجت الاهازيج فيها بطلقات البارود . وتشاء عادة القوم فى مثل هذه المناسبات ان يخرج العريس محاطا بزمرة من اترابه ليوم صيد يكون فرصة للهو المرح والغبطة فى اطراف الصحراء ليعودوا فى آخر النهار بعد ان يكونوا قد قضوا يوما حافلا بالمسرات والافراح .. ايه ما اقساك ايتها الايام ! كم انت قادرة - وفى سهولة ويسر - على تحويل الفرح الى حزن ، والسعادة الى مأساة ، وغناء النسوة وزغردتهم الى بكاء ونحيب ورثاء ! لقد عاد الفتية يجرون اذيال انخيبة مطأطئي الرؤوس ذلا ومهانة وحزنا .. لقد اغتيل عبد النبى وهم عصابة وقطعت زهرة شبابه وكلهم رماح .. لقد قتل عبد النبى ، وهو يستعد لملاقاة أسعد ايام حياته فانتشر الخبر فى القرية يشق القلوب ، ويبكى العيون ، وبحز فى النفوس استسلم القوم بعد للبكاء والنحيب ولم تقو القرية على احتمال المأساة لقد اقتسم القوم الفجيعة ، وتجمع كل الهم والغم فى نفس صابر الذى اظلمت الدنيا فى عينيه وفى نفس عبد الغفار الذى لم ينس بكلمة ولم يتخل قط عن وقاره فلاذ بالصبر وانغمس فى تصوراتهِ وتاه فى مخيلته فلم

يخرجه من دوامة هذه الافكار التي يغذيها الحزن الا صوت المأذون يدعو الى امامة الجماعة في مسجد القرية فاستعاذ من الشيطان وأزال أثر حزنه بالوضوء وقصد الجامع وصعد كعادته المنبر . وما كاد يفرغ من صلاته وينتصب لمعقباته حتى شق جموع الحاضرين رجل أسود مديد القامة عليه اثر من سفر لا تبدو منه غير عينيه اللامعتين من فجوة لثامه يحمل بين يديه مخللة ولما وصل قبالة الشيخ أفرغ ما فيها فاذا المحتوي راس عبد النبي وقد انحدرت قطائته في كآبة وذبول فغطت جانبا من رأسه ووجهه ويدان لم تزالا مخضبتيين بالحناء وقال بصوت متقطع كأنه لم يقو على احتمال المصيبة هو أيضا :

— لقد حملني سيدي وحش الفلا هذه الامانة . وأوصاني ان أعلمك بأن لا احد يقوى على خوض هذه الفعلة سواء .

تلقي القوم الخبر بالحزن والألم وطأطأت الرؤوس في محاولة تصور بشاعة هذه المأساة . لقد قصرت مخيلاتهم عن تصديق ما شامدته عيونهم .. أما الشيخ عبد الغفار فقد حال إيمانه القوي وصبره اللامتناهي دون الانهيار أمام مشهد أطراف ورأس ابنه الأكبر أشلاء جامدة بين يديه بلا حراك فأمر بها ان توارى وعاد الى القوم يخاطبهم وقد اشربت منهم الاعتناق في محاولة فهم ما سيصدر عن امامهم من مواقف ، ولكنه لم يزد على أن قال :

— ان هذه الاهانة تتجاوزني الى كل فرد في الواحة وهي تصيب في الصميم رجولة وكبرياء كل فرد منا . لقد مات عبد النبي ، وانطوت صفحته على ايدي عدو لنا معروف هو وحش الفلا الذي ساءه أن تتناول ابلنا جميعا فتشارك ابله المراعى . وغاظه ان يتجاسر رعاتنا على ورود معادن المياه وساءه أن ينعم أهل القرية بالسلام والطمانينة .

فهزت هذه الكلمة نفوس القوم وقاطعوه في صوت واحد قائلين :

— كلنا فداء لعبد النبي . وكلنا رجل وساعد واحد للاخذ بثأره !!

ولم يزد هذا الحوار على ان كان فرصة أفرغ فيها القوم شحنات من الهم والحزن والمواساة فارتقتهم منذ أن ابتعدت بهم الاقدام عن مواجهة الشيخ ، لانهم — وان صدقت منهم المشاعر وبلغ الحزن ما بلغ — لا يقوون على تصور اعماق المأساة التي تحتضنها نفس هذا الشيخ الوقور ونفس ابنه صابر ،

فالقوم - وان وحدث بينهم الفاجعة - أبعد من أن يأخذوا بثأر عبد النبي من قاتل ليس في حوزهم تفصله عنهم المفاوز والأبعاد ، وتقصر همتهم عن التناول الى القيام بعمل من هذا النوع وبهذه الخطورة لان الاخذ بالثأر معناه مجابهة عدو اكتملت عدته وكثر رجاله ، وتجاوزت شهرته الافاق انه سيد الصحراء بلا منازع جمع بين الشجاعة والوحشية والروح القتالية العالية فلا أحد يجرؤ على مجابهته ؛ لان منظره يوحى بالفزع وقليل هم الرجال القادرون على الثبات امامه . لقد كان بحق وحشا ضاريا وراميا ماهرا ومصارعا لا يقهر . كان يصول ويجول في هاتيك المواطن من بلاد الرمل المتاخمة لمشارف صحرائنا

وما ان جن الليل ولف القرية بحزنه الداجي وسواده المخيف حتى عاد الجميع الى اكواخهم ليستسلموا لحزن أقوى من أن يحتمل . وراحوا يتصورون يوم الانتقام ، ويفكرون فيمن سيتشرح لحوض غماره . ومن غير الفتى صابر يقوى على القيام بهذه المهمة الشاقة ؛ ومن غيره يقوى على الانتقام ويرد الضربة ويمسح العار ؟ ومن غيره يشعر بالفراغ وبالم الحرقه لزوال أخيه ، مثله الاعلى للرجولة والصبر ؟ ويدون أن يخبر أحدا حتى ولو كان أقرب الناس إليه أعد صابر العدة وتزود بما خف حمله من ماء وسلاح وراحلة خبيرة بالمسالك في عروق الرمل . وشرع في رحلة الانتقام ومسيرة الاخذ بالثأر ، وهو يعتقد أن لا عين رأت . ولا أذن سمعت ، ولا أحد شاهد تحركاته ولاحظ استعداداته ، متيقنا أن الظلام وسرعة الانجاز والصمت قد حالت دون أعين الفضوليين من أبناء القرية فالتحف برداء الظلام وانطلق لا يلوى على شيء واضعا نصب عينه « وحش الفلا » مصمما على عدم العودة الا حاملا لسلاحه أو محمولا عليه .

وغابت به الراحلة في ثنايا الرمال وضاعت به هوية هذا القادم خلفه فاذا هو « غيث » ابن عمته وصديق صباه ورفيقه في رحلة الاخذ بالثأر فاستوقفه مكانه وصرخ في وجهه بحدة لم يألّفها منه صديقه غيث أمرا اياه بالعودة ، والا اضطر الى رشقه السلاح . ولكن غيث لم يأبه لكلامه . ولم يزد الموقف الا اصرارا على المضي قدما فيما عقد عليه العزم من وجوب مرافقة صابر في رحلته الى المصير المجهول واليوم الذي لا يتصور غده فقال :

- افعل ما انت فاعل فما انا بمتزحزح قيد أنملة عن مكاني ولست برافع عن قصدى حتى أقاسمك المصير أو أهلك وإياك دونه فداء لعبد النبي أو نرجع سويا متوجين بالنصر

فاضطر صابر امام اصرار الفتى على المخاطر الى قبول رفته على مضض .

انطلق صابر وغيث يسيران جنبا الى جنب تطوح بهما المسافات وتبتلعهما الوهاد . واستمر بهما السير طويلا فلا يؤنس وحدتهما الا فراغ الصحراء وامتداد الافق فيها حتى ادبر السماء واوشكت آخر خيوط شمس اليوم الثانى على المغيب فاحسا بأن الاعياء والتعب قد اخذا منهما اى مأخذ . وقررا حط رحاليهما ريشما يتسنى للراحتين اخذ نصيب من راحة وعلف وحتى يتسنى للفتيين الاستعداد لاستقبال ليل طويل داهم بقليل من طعام يسد الرمق ؛ فجلسا القرفصاء لتناول ما خف من طعام ، ولم تكد تصل اول لقمة الى فم غيث حتى دوت فى الافاق اصوات طلق نارى عرف صابر بالديهة وسليقة الحبير بفنون الصيد انها اصابت الهدف . وادرك فى الحين ان لا أحد يجزؤ على طلق النار فى هذه الربوع غير وحش الفلا او أحد رجاله ، وأن موعد الاخذ بالثار قد أصبح منه على قاب قوسين أو أدنى . وفى الحين استعادت مخيلته هول المأساة وخطورة العمل الذى ينتظره فاقوما الى رفيقه « أن اقرب » بكلام هو وسط بين الهمس والجهر توعد رفيقه مهددا اياه تارة ومستعظفا له أخرى « ان الزم مكانك هذا وامسك عندك الراحتين وارقب الاحداث عن كتب وكن لي عند افلات النصر متى امتدادا لي ، ولكن غيث لم يزد من توسلات صابر الا ايباء ونفورا . وقال بلهجة كلها تحد وتجاوز وأنفعال :

— اسمع يا صابر وع جيدا ما سأقوله لك ما أنا بملازم مكانى حتى أصل الهدف أو أهلك دونه .

فاستدرجه صابر من جديد مخافة أن يتفطن الاعداء الى مكنهما :

— اذا كن رجلا والتزم بتنفيذ ما أنا عليه عازم . اسمع يا غيث ان الجماعة منا على أقل من رمية سهم . وهم الآن نهمكون فى شى طريدتهم وبعد حين سيتجمعون حولهما للاكل وتلك لنا خير فرصة نفتنمها للانقضاض عليهم وتحقيق ماربنا فى شأنهم . ولتعلم يا غيث أن أى عفوة منا أو حماقة يكون فيها حتفنا وهلاكنا وتركنا فوق رؤوس هذه الكتبان فريسة للوحوش والطيور الجارحة !!

تخفف صابر من ملابسه وامتشق بندقيته فلم يبق من ملابسه الا مشزرا شد وسطه . وبدأ يزحف على يديه ورجليه فى منتهى الحذر واليقظة . وكان كلما تقدم شوطا توقف ليخطط للمسيرة الاستراتيجية جديدة تؤكد نجاحه فى

عمله حتى بلغ وهذا حال دونه ودون متابعة تحركات عدوه فغاص فيه . ولم يكذ يخرج منه حتى تزامحت على خياشيمه روائح الشواء ، وعلى مسامعه ضحكات الفوز والنصر . فادرك انه على وشك الاشراف عليهم فازداد حذرا ، وكنم انفاسه وبدا له القوم فى تجمع صغير يتكون من رجلين وراجلتين ، وهم فى توزيع محكم ينم عن استراتيجية حربية ووضع حذر لا يخطر الا على بال وحش الفلا : اذ وجهت الراجلتان كل منهما صوب اتجاه معين حتى يستعين بما يبدو على ملامحها من أحاسيس فيستعين بذلك على معرفة ما تنقله أحاسيس الابل مما يجرى حول هذا المكان . ووجه الرجل المرافق الى جهة ثالثة . اما وحش الفلا فكان فى يقظة دائبة وحركية لا تعرف الهوادة ، اذ كان بين الحين والحين ينحنى حتى يلامس الارض بأحدى اذنيه عساها تأتيه بدبيب النمل وخفيف الحركة وهبوب النسيم . ولما أدرك أن الجو خلو من كل مريب دعا رفيقه الى تناول الشواء وكان الليل قد أرخى سدوله على الصحراء فازدادت هدوءا وسكينة . وما هى الا مدة قصيرة حتى صير ضوء القمر المكان الى نهار فتيقن صابر أو النوم قد بدأ يلف القوم بردائه ، وأن بخار الشواء قد تصاعد وأثقل منهم الرؤوس فتمايلت مثقلة مستسلمة لنوم عميق وما الله من نوم حينما يتمدد المتعب على رمال الصحراء فى فصل الصيف يسبح بفكره بين النجوم والنوم يداعب اجفانه ، لكن كيف يحلو نوم للرجل يذكر ان وراءه طالب ثار ؟ لكن ارادة الاقدار تتدخل دوما لتحيط ساعة القضاء بالغفلة ليقع فى كمينها من يكونون فى العادة اكثر الناس حدة فى الذكاء ، وسرعة فى البديهة فكان الاقدار خفت هى ايضا لتساعد صابرا على الاخذ بالنار . ولكنه لم يكن ممن تهزم بوادى النصر فتفقدهم رشدهم وتضيع صوابهم قبل الاوان ، ولا من الذين تشنهم ملامح ما ترتاح اليه النفوس من ظفر فتحول الرؤية الضبابية دون تحقيق الهدف . لذلك تربث صابر بعض الوقت فلاح له طيف أخيه عبد النبى وهو يعود بالقطيع ، وهو يصارع الذئب ، وهو عريس ينتظر ساعة اللقاء ، وهو أطراف ممزقة واشلاء هامة ملقاة بين يدى شيخ وقور يندب حظه فى تكتم ويبكى ولده فى صبر ، فهاجت فى نفسه المشاعر ، واشتعلت فى قلبه النيران ، واضطربت فى مهجته شحن الغيظ والانتقام فامتدت يده الى البندقية تتحسس زنادها وتلمس الجو حواليه فالتفت يمنة فوجد « غيث » متندا بجانبه موجها فوعة سلاحه فى اتجاه الاعداء . وانطلق الرصاص وتطايرت انره اشلاء ممزقة مقرونة بصيحات مفزعة صعدت الى عنان السماء خيم اثرها

الصمت المطلق على المكان فبدا الفرع يقرأ فى عيون الابل ويبدو فى استنفارها ويفهم الالم والحزن من نحيبها ورعبها لقد انتهى كل شىء، وغدا الوحش جثة هامدة تتخبط فى الدماء .

« .. ايه صابر ! قد حققت الغاية وبلغت المنى . ولكن الهذه الغاية البسيطة خلقت ؟ لقد حققت آمال أبيبك ورغبة قومك وتخلصت من الحاح عقدة الاخذ بالثار . ولكن ليتك تقف الآن عند هذا الحد !. ليتك الآن تنتصر على ما ترسب فى نفسك من غليل الانتقام .. ليتك تقوى على التحكم فى اعصابك فتواري الجنة التراب وتعود !!

لا . لا . انك اضعف من ان تتصدى لرغبة الانتقام التى لا تعرف لها حدا !. ان الشهم من الرجال يغفو دائما اذا انتصر ، ويبقى لانتصاره خط رجعة . وها أنت امام ضحيتك الهامدة فاعف عنها ووارها التراب .. »

كانت ماثات من أمثال هذه الخواطر تضطرم فى نفس صابر وتطوف بمخيلته وتدعوه الى الاكتفاء من وحش الفلا يقتله ولكن أنى له ان يعرف للانتقام حدادا ؟! ان ثقل الاخذ بالثار الذى شجنه به أبناء قومه أثقل من ان ينتهى عند هذا الحد . وبلهجة حادة خرج صابر من تصوراتة ، وقطع الصمت الذى كان يلف المكان ، ودعا رفيقه غيث قائلا :

« لقد منعتك عن رفقتى فأبيت : ودعوتك الى الرجوع فامتنعت . ورجوتك البقاء قرب الراحلتين فثرت . واستعطفتك تركى لوحدى الاقوى المصير فما ازددت الا اصرارا ونكرانا .. اسمع يا غيث لئن لا تفعل ما أفعل فسألحقك أو تلحقنى بما ترى من هذه الجثث . وبحركة هستيرية انحنى على نبع الدم من الوحش وشرب حتى ارتوى ومثله فعل غيث فلم يزدد بتذوق طعم الدماء الا توحشا . وبخفة بالغة شق عن صدره وأخرج منه الكبد والقي بها فى السلال لتشوى فاكل منها ودعا غيثا الى الاكل فجامله وتناول جزءا واكله فاحس كأنه يأكل جزءا من نفسه . انه لحم ميت فكرمه . وثقل بما بقى عالقا بأسنانه منه وطن أن الامر قد بلغ منتهاه ، وأن الحزم يدعوها الى التفكير فى العودة لكن صابر عمد الى قطع رأس واطراف الحش وأودعها جرابه وجمع شتات الابل وشد رحالها وجر ما تبقى من الجثث الى أعالي كثنان الرمال حتى تكون طعاما للوحوش الضاربة والطيور الكاسرة .

لقد عاد صابر من رحلة الانتقام . وشفى غليل من قصرت همتهم عن بلوغ ما بلغ . وأعاد المن والسلوى وراحة القلب لشيخ وقور وحاول أن يعود الى سالف حياته الاولى يرعى غنم ابيه ، ويشرف على تنمية ثرواته . واستمرت الايام متواليه في رتابة . وتباعدت العهود وبدا كل شيء يسير وفق رتابة الحياة في الواحة فعرضت لصابر اثناءها رحلة ملحة الى الصحراء فرأى نفسه مجبرا على انجازها بنفسه .. انها رحلة بعيدة الى مراتع ابله في الصحراء ليحمل اليها القطران عساه يخفف عنها بوادر ازمة سوف تدفع الابل ضريبتها ضعفا وهزالا وجربا وموتا جماعيا ! رحل صابر الذي لم يعد كما كان في اول عهده بالشباب ولكن كهولته لا تزال قوية جلدة وصبورة شجاعة . عرج على ابيه وأخبره الخبر وطلب منه أن يزوده بالفاتحة ودعاء الخير . وذلك عند القوم مفتاح كل عمل صعب وزاد كل سفر طويل . لقد كان صابر خبيرا بأطراف الصحراء عارفا بمسالكها واقفا على مواقع الشمد فيها . وكان على عهد بالمكان الذي ترعاه ابله فقصده بدون عناء . ولكنه لم يجد غير آثارها وقد تناثر فوقها بحر الآرام . وداهمت الجميع ريح الجنوب فلم تبق منها الا آثارا طفيفة لا يقوى غير الخبير بتقفي الآثار على الاهتداء الى غايتها فحول وجهته الى اتجاه ظن معه ان الابل قد أمته وما أن توغل في المسالك حتى دأبته ريح عاتية عنيفة استحال معها المكان الى ظلام وجد صابر نفسه بعد هدير الزوبعة شخصا يخونه الذاكرة وتنفلت عنه الارادة الواعية ويخونه الفكر الخبير فوجد نفسه عاجزا عن مواصلة السير فانتحى من الصحراء وهذا يلجأ اليه ريشما تعود اليه الذاكرة فيستأنف مسيره من جديد فتعمد فوق الرمال بين قلق يساوره وخوف يرتاده ومصير غامض مجهول ينتظره لقد حالت رداءة الطقس دون تبين معالم النهار اذ اختلط عليه الفجر بالغسق والمغرب بالضحى فدأبه النعاس فأخذ كفايته من النوم واستيقظ اثره ليجد نفسه مكتمل القوى كامل النشاط والادراك وفتح عينيه وتمدد في حركة ابعد بها آثار النوم ورفع بصره الى اعلى فوجد المكان مطوقا بأبل المهارى الى لا تبدو منها غير الرؤوس فبادر الى سلاحه فأمسك به ووقف في تحد وشموخ يستجلى الخبر فرفع صوته قائلا : من نفر ؟ فاجابه بعض الافراد : اهدأ يا صابر وعد لرشدك واخفض سلاحك واقبل الينا تصدقك الخبر : انا سعد وهذا حمدان وذاك عمر وثلاثتنا ابناء وحش الفلا ، وهذان عميرة وفارس للذنان نجيا من مقتلة الخيانة والغدر التي كنت أنت بطلها اذ كانا ساعة التصادم يجريان وراء طريدة لم تكن اصابتها قاتلة فوهبا النجاة

بسببها . وهذا الفقى عمارة صديق والدى . وما ان تم تقديم الجماعة حتى رفع صابر رأسه فى تحد وكبرياء وقال بلهجة يغلب عليها الاحتجاج والنكران

— من صابر الذى تنادينى باسمه يا هذا تنح عنى .. واخل لى الطريق ولا تفوت على فرصة اللحاق بالقافلة التى حالت العاصفة الهوجاء التى هبت منذ حين دون اللحاق بها .

— عن أى عاصفة تتحدث يا صابر أهى تلك التى داهمتك بالامس قبيل الظهر !

— نعم هى كذلك .. لقد خيل الى أنها وقعت منذ حين . ولكن من صابر هذا الذى تسمينى به ؟

فاجابه القوم بصوت واحد :

— اسمع يا هذا : نحن على يقين من أن لا احد غير صابر يستطيع ان يرد هذه الموارد ويهيم فى هذه المتاهات فلا تحاول اذن تضليلنا فانت صابر عبد الغفار اصيل واحد ام الربيع ان رجلا فى مثل شهرة صابر عبد الغفار لا يمكن أن يجعله الرعاة . وهو من اعتاد الطواف بالصحراء والتردد على معادن المياه فهلم اليهم لنحتكم لديهم فان عرفوك وطبقوا الاسم على المسى فاعلم انها النهاية التى لم تسبقها بداية واجزم بأنه الموت الذى لم تسبقه حياة واجزم أنه التمثيل والتكامل الذى لم تعرف البادية أشنع منه !

فهم

وبسرعة شدت الرحال وسأقت الاقدار صابر الى القيد والوثاق فى راحلة الفقى عمارة أكبر النفر سنا وأبعدهم نظرا وأكثرهم تجربة . وسارت القافلة وامتدت خطى الابل تطوى المفاوز وتقطع الكتبان فى طريقها الى اقرب معطن لتحتكم لدى أول راع تلقاه ، فتتابع الرواحل وامتد خيطها واقتفى بعضها اثر بعض فبدت كأنها خيط حى ينبض حركة وسط صحراء فارغة الا من سكينه الليل وهدوئه . وعندما امتدت المسالك وتميلقت خطى الابل قصر الجهد عن متابعتها . وأدرك الفقى عمارة ملامح التعب البادية على وجه صابر وعلم عجزه عن مسايرة خطى الابل وانتظر حتى لف الظلام القافلة الصغيرة بسواده ووحشته وقد واجهه صابر بالسير الحثيث والتأمل فى المصير الذى ينتظره . وفجأة امتدت له من أعلى الراحلة يد جذبته فى صمت الى أعلى فانتصب راكبا

خلف الفقى عمارة فاستغرب صابر هذه الظاهرة وتأثر بها ، وأنس بقرب صاحبها الذى قطع الصمت بكلام مهموس :

- اسمع يا ابنى أنا على يقين من أنك صابر عبد الغفار ، ومن أنك صانع مجزرة وحش الفلا ، وأنه يعز على أن تخسر البادية رجلا شهما مثلك . وانى لاعلم أن غدك لقريب ، وأنك سائر الى الموت لا محالة ، وأنه يحز فى نفسى أن تتقاسم أطرافك الابل الشاردة ، وإن تنهك جسمك الوحوش الكاسرة فانج بنفسك وفز بالنجاة إن كنت جسورا .. انظريا ابنى انها آخر فرصة تهب لك النجاة بنفسك فاغتنمها إن كنت فى مستوى ما أعهده فى أمثالك من حزم وعزم - نعم نعم اتمم يا عماء كيف ترى طريق النجاة ؟

- تمهل يا صابر واخفض صوتك وانظر مليا الى هاتيك الرواحل الممتدة أمامك والتي لا يتراعى لك الا شبحها انها كلها من فصيلة المهارى وإن اختلفت بها السن والسرعة . إن الراحلة الثالثة ناقة اثنا عشرية والراحلة التى خلفها جمل عشاري فإن أنت ظفرت به وحشمت الناقة فلا راحلة من بقية الابل بقادرة على اللحاق بك . وها نحن سنقف بعد حين لنطلق الابل ترتاح وتسرح لحين وسوف أفك وثاقتك وأرسل بك بلجم بقايا فقات الاخشاب لاعداد ما خف من طعام وشراب . فاغتنم فك وثاقتك واجمع أمرك وبرهن على أنك تستحق الحياة.

فما كان من صابر بعد أن استراح القوم وتفرقت الابل الا أن تظاهر بجمع يابس النباتات وبكفة غليظة فى يده هوى بكل قواه على الناقة فهشمها ثم اقترب من العشاري وامسك المقود بيده وبقفزة ماهرة اعتلى ظهر الجمل وأرخى له العنان فغاب به بين الكثبان تاركا وراءه القوم تغترف أيديهم الرمال الباردة حسرة وندما وغيظا ، وقد اصفرت منهم الوجوه وغدا الواحد منهم شبحا هائبا وقد افلت من أيديهم صيد ثمين كانوا يمنون النفس بمشاهد الانتقام من قاتل أبيهم . ولكن الحظ خانهم والفرصة ضاعت منهم الى الابد ونجا الخصم وعاد صابر الى القرية ليظل فيها طول حياته شاعرا بقيمة من وعبه الحياة وهو بين مخالب الموت ، ومكنه من النجاة وهو محاط بأقفاص الفراغ والبعد . وعاش طول حياته مدينا لهذا الرجل الكريم ممتنيا النفس أن لو تجود به الاقدار يوما حتى يرقى الى مستوى رد جميله .

احمد التهامى بوطبة

غمراسن فى : 5 / 12 / 1980

عمر بن سالم

رد زيارة لأحمد ممو

أديت مؤخرا زيارة مجاملة لأحمد ممو في مكتبه بإدارة المياه والتربة بقابس . الإدارة في شنتش على الطريق المؤدية الى تطاوين وجربة اثر الخروج من المدينة . المكتب في الطابق الاول . الخرائط الجغرافية تغطي الجدارين الشمالي والغربي . وقد غرست فيها دبابيس مختلفة الالوان لتعيين مواقع المياه في الجنوب .

تحيط بمنضدة المكتب من اليمين ومن الخلف خزائن حديدية فوقها رؤوس فؤوس لحفر الآبار العميقة وبعض أدوات القيس والتصوير ...

خطوط الرمال المنحنية على الخرائط المكسرة توحى بزحف الكتبان المتواصل .

لما دخلت المكتب كان صاحبنا منكمكا في امضاء بعض الاوراق الرسمية . امضاءاته طويلة معقدة ، لا اقتصاد فيها .

بمجرد خروج العون الذي كان ينتظر تلك الامضاءات ، قلت له :

— ان ما خططته على هذه الملفات يكفي لكتابة قصة !

ضحك ، وقال :

— هي رواية الادارة ، لا بد من تحبير فصل فيها كل يوم قبل البدء في العمل الجاد . قلت له والعاصفة الرملية تسد أفق النافذة الشرقية :

— لن يمر عقد او عقدان من السنين ، حتى تصبح الواحات عندنا هنا بلا ظل . ما عدت ترى في هذا الجنوب الاجذب لا قطعان الماشية ، ولا المزارع الخضراء . شحت السماء ، واغبرت الارعاء ... سوف يزحف الناس بآرتبتهم يوما على الشمال كما زحف جدودهم من بني هلال !

— لا خوف عليك من زحف الصحراء ولا من قلة الماء . معدلات سقوط الامطار لم تتغير كثيرا منذ القدم .

– كيف ؟ وقد رويت أنا عن جدى أنه كان يحصد الصابة كل ثلاث سنوات . وأصبح والدى لا يحصدها الا كل سبع أو عشر سنوات . أما اخوتى الآن فقد يشسوا من الحرث ، ونسوا حتى لون الزرع ، وقد استوى على سوقه يعجب الناظرين ...

حاول صديقنا اقناعى بأسلوبه الخاص . أخذ قلما وورقة . ورسم قاطعا ومقطوعا . وضع معدلات الامطار على الخط العمودى ، وتواريخ السنين على الخط الأفقى . لما استوى له الحساب جر خطا منحنيا متموجا ، يعلو ويهبط حسب النقط ككتبان الرمال اتموجة على الخريطة . اكد لى – وهو يشير برأس القلم الى الرسم – ان الخط البياني لهذه العشرية لا يختلف كثيرا عن الخط البياني للعشرية المنصرمة .

رفع رأسه ، ثم كلمنى بلغة أفهمها جيدا ، قال :

– ان البقرات العجاف ظلت دائما تاكل البقرات السمان ، منذ عهد الفراعنة حتى الآن ! .

الطبيعة لا تغير موقفها من الانسان الا بقدر ما يغير هو موقفه منها .

ثم همس لى كمن يبيع بسر :

– انها كالمرأة الحساسة ، يمكن للرجل أن يحصل منها على ما يريد ، شريطة أن يتلطف معها ، وان لا يخدش كرامتها ...

– ولكننا نحن اسانا اليها ، وسبق لنا أن سلخناها سلخا ، كما سلخنا امهاتنا ونساءنا . الفقر كان السبب . اكلنا النباتات ثم لوينا على الشجيرات والجذوع . وقلبت الدواب بعدنا الثرى بحثا عن العروق . وأتمت الشمس العملية فجففت التربة ، ثم جاءت الريح فسافرت بها على طريق الجو ... بذور الحشائش التى كانت تنبت عندنا ، أصبحت بعد الرحلة تنمو فى ايطاليا وجنوب اوروبا .

ضحك صاحبى المهندس من مبالغاتى ، وهو يعلق :

– لم تصبح البذور أبعد من الصواريخ العابرة للقارات ! .

قلت له معاندا :

– البحر اذن هو الذى اكتنفها بتربتها وغنائها !

ثم تنهدت مستطردا :

- لو انها اخصبته ، لكان الخطب ، ولكن السمك هو ايضا الى فناء .
مركب الحامض الفسفوري قضى هو الآخر على الثورة البحرية في الخليج .
امات حيتانه وقضى على ضريعه ، ولوث هواه بالدخان .

رياح البر غربية ورياح البحر جوفية !.

احس صاحبي باننى انفلت منه . ابتعد به عن اليايسة . اعادنى من جديد الى الشاطئ .

حدثنى عن تفجير الآبار ، عن زرع المراعى الاصطناعية ، عن التشجير المتواصل ، عن الحزام الاخضر ، وما هو باخضر ...

حزام امى كقوس قزح ، متعدد الالوان . اما حزام اخى فقد ظل ابيض الى ان تزوجت . لما بنى بها ابن عمسى ، غمر قريتنا الطوفان . حبلت الارض ماء ، وحبلت اخى معها . عام الخير تلد الانثى عندنا توأمين . وعام الجذب ، تلد لنا نضوا قوى الصمراخ ...

الخط البياني للولادات لا يوازى الخط البياني لمعدلات سقوط الامطار .
الولادات عندنا لا تتموج صعودا وهبوطا كل عشر سنوات . الولادات لا تعرف الهبوط فى جنوبنا . انها تتضخم كل عام مثل العملة .

اذا غاضت لنا عين قديمة فى الواحة ، نبتع بجوارها عشرة من صلبها .
المائدة الجوفية ما تزال بخير ! الناس فى قريتنا ينامون باكرا . لم تدخل التلفزيونات بيوتهم ...

قال صاحبي بعد حديث لم اسمعه :

- حاولت الولاية منعهم من الحفر ، وطمرت لهم عدة آبار ، ولكنهم فى النهاية غلبوها .

امسوا تعاضدية للحفر واخرى للاتجار فى الماء ...

فهمت اخيرا انه يتحدث عن اهالى قرية مجاورة لنا . كانوا يولدون ويفطمون فى عربات النقل التى تجرها اناث البغال . اما الآن فهم يولدون

ويفطمون فى دور من الحجارة الصلبة قادرة على مقاومة الرطوبة . من الله عليهم بامام ذكى اعطاهم الحجة وفصل الخطاب . قال لهم فى جمعة الوداع :

- أليست الحكومة هى التى تدعو الى الاحياء ؟.

قالوا :

بلى (بالامالة) .

قال : أليس الله بقاتل فى كتابه الجليل : وخلقنا من الماء كل شئ حيا ؟.

قالوا : بلى !

قال : لا احياء بدون ماء . لا احياء بدون ماء ، وكررها ثلاثا ، ثم اضاف : ابحثوا عن الماء واستخرجوه من الاعماق . من عارضكم فى الحفر فكفروه . ومن مسك على ايديكم فاقبروه .

قال صاحبى معقبا :

- ولاقت دعوته نجاحا منقطع النظير ، ونبتت المياه من كل مكان ..

التعاضدية التى فشلت عندكم بسبب تجميع المياه السطحية ، نجحت عندهم بسبب تفجير المياه الجوفية .

قلت كالمعتذر لنفسى ولاهلى :

- شتان ، يا أخى ، بين رشح يتبخر على السطح ، وبين نبع دافق

من الاعماق ! .

- قل ان الايمان غير الايمان ، وان الرجال غير الرجال !.

- كانت تجربتنا سطحية ، لم يعمقها الاقتناع ، ولم ترسخ فى الازهان بالقدر الكافى .

ذهبت سريما مثلما جاءت . سحابة عابرة فى سمائها المتقلبة ، تلقفتها الرياح وشقتها . وظل الجفاف قائما فى الحقول والعقول .

- سأرويك حتى لا تعود به الى حديث الجفاف والعطش ...
- كان صاحبي قد ضغط زرا خفيا لم أتبينه على المنضدة .
- ماذا تشرب ؟ قازوزة ، قهوى ، شاي ؟ .
- قهوة معها ماء ، اذا سمحت .

كان الماء لارواء الغليل ، وكانت القهوة لتدخين الغليون . أما هو فقد طلب لنفسه قازوزة . صاحبنا لا يدخن ، ولا ..

قادنا الحديث بعد خروج الحاجب واغلاقه الباب الى عالم الكتابة واحتراف الادب . قلت لمخاطبي سائلا :

- أنت عالم فى طبقات الارض ، كيف تعلق ميولك الادبية . ومن أين جاءتك اللوثة ؟ .

أحس الرجل كأنني باغته بالسؤال . ما كان يتوقع ان استجوبه بجد . نظرا الى ، وهو يقول متملصا :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أتريد منى حقا أن أجيبك عن هذا السؤال .

- عن هذا السؤال وعن غيره . ألم تستجوبنى أنت من قبل ؟ واحدة بواحدة ، والبادى أظلم !.

- لك الحق . أسأل ما تريد ..

ملأت له صفحة الاسئلة ، وكتبت له عنوانى فى آخرها . ما كنت متعجلا ولا قادرا على الاختزال .

كتبت له فى آخر الورقة هذه الملاحظات :

« أنت حر فى عدم الاجابة عن الاسئلة التى لا يستهويك الرد عليها . وأنت حر أيضا فى اعادة ترتيب الاسئلة وصياغتها كما تريد » .

عندما وصلتني أجوبة أحمد ممو ، وجدت أنه لم يغير من صيغة الاسئلة ، ولا من بترتيبها . جل ما فعل أنه أسقط ثلاثة منها . كانت فعلا أسئلة

لقطة ، لا تدخل في « الحلقات المتفصلة » لتفكيره المتناسق . واليك الاسئلة والاجوبة بلا تأخير :

★ ★ ★

1 : س : كيف تعلق ميولك الادبية وانت عالم في طبقات الارض ومتخصص في المياه الجوفية ؟ ما هي العوامل التي ساعدتك على تفتيق ملكتك الابداعية وصقلها ؟ .

ج : قد يكون من الصعب جدا ان يفسر الانسان الدوافع التي كانت اساس اختياراته لتكييف حياته واكسابها صبغة واختصاصا ما ولكن ما ادركه جيدا هو ان تخصصي العلمي كان قد بدا خلال الجزء الثاني من المرحلة الثانوية من دراستي . وكان منبئيا على ادراك بمحدودية أفق التخصص الادبي رغم تفوقى في المواد الادبية في تلك المرحلة .

و كنت اكره لنفسى ان انتهى معلما او استاذا لان التعليم يرتبط في تفكيرى بمفهوم الرتبة والاشياء المكررة . ولعلنى ايضا كنت مدفوعا برغبة تحقيق حلم والذى - ذلك العامل اليومي الذي لم يعرف غير الكتاب مجالا للدراسة والذي كان يحلم بان يرى في يوم ما ابنه يصبح طبيبا او مهندسا او محاميا - وكان المقياس الاجتماعي للنجاح في الحياة في تلك المرحلة يتمثل في اختلال درجة ما من السلم الاجتماعي يكون بها الانسان طبيبا او مهندسا او محاميا وطبعا لم اكن بمعزل تماما عن تلك النظرة الاجتماعية اذ هي تعيش في تفكير الوسط الذي انتمى اليه حتى وان لم تكن قارة في تفكيرى . ولكن بداية ادراك الاشياء كواقع اعيشه كانت بالنسبة لى عندما وجدت نفسى على عتبة الجامعة وجدتنى في حاجة الى اختيار مجال يؤجل فيه التخصص الى اقصى ما يمكن لذلك رغبت عن العلوم الرياضية البحتة وكذلك عن العلوم الفيزيائية الكيميائية لان جامعتنا في تلك المرحلة كانت تفتح أفق التخرج لتدريس لحاجة البلاد للاساتذة ولم يكن البحث العلمي ممكنا الا خارج البلاد وبذلك وجدتنى مدفوعا الى اختيار التخصص في العلوم الطبيعية . وكان احداث التخصص في العلوم الجيولوجية في كلية العلوم التونسية قد بدا بالمجموعة التي اتميت اليها . وكنا بشكل ما فئران التجربة لان الاتفاق لم يكن واضحا امامنا . ولكنها كانت ايضا فرصة بالنسبة

لى للافلات من نهاية المدرس الذى يجتر معلوماته لكى يصبح تفكيره بعد ذلك فى مستوى تفكير تلامذته . وبشكل ما تحكمت الظروف فى توجيهى الى التخصص فى المياه الجوفية . وعندها كنت مقتنعا أن أى اختصاص يماثل غيره لأن ما هو أكثر أهمية من الاختصاص هو أن يضمن الانسان لنفسه ذلك التفكير الذى يمكنه دائما من وضع السؤال فى حياته لكى يفهم ما يقع حوله وفى داخله . وطبعاً يمكن أن أقدم سلسلة من التبريرات لهذا التخصص انطلاقاً من معطيات نفسية كتلك الطفولة التى عرفتها فى قرىتي الجبلية (تمزرت) حيث فقدان الماء كابوس المجموعة وأساس أساطيرها .

وان كان يمكننى دائما ان افسر بشكل ما اختياراتى التعليمية ثم المهنية فان ما يبدو لى أصعب للتفسير هو . لماذا اخترت فى يوم ما ان اكتب ولماذا اخترت ان تكون الكتابة بالنسبة لى موقفاً . وان كنت ارى ان الانسان حصيلة عدة عوامل ذاتية ومحيطية تصنع منه تلك العجينة التى تتقلب ولا تدرك اكتمالها الا عند نهاية وظيفتها الحيوية ، فانى اعتقد - ايضا - ان فى دراستى وفى اقبالى على المطالعة ما ساهم كثيراً فى توضيح ميولى الادبية . لذلك لا يمكننى ان ادعى - كما يفعل من يدعى أصالة الكتابة - ان هذا الميل يفسر بتقاليد ادبية عريقة فى العائلة او بحساسية مفرطة اكتشفها فى شخص أستاذ ما بل كل ما حدث يبدو لى الآن اختياراً قد يكون غامضاً الى حد ما نظراً للملاسات العديدة التى لا يتحكم فيها الانسان ولكنى كنت دائماً مقتنعا أنه هو الاختيار الاسلام لى . لذلك أصبح السؤال بعد ذلك فى حياتى كيف اواصل الكتابة الى ابعد شوط ممكن من حياتى رغم التباعد الظاهرى بين الكتابة وبين مهنتى . ورغم أن العديد من رفقاء الدرب (ما كان يعرف بالادباء الشبان) قد خانتهم افكارهم وجفت اقلامهم واصبحت الوضعية بالنسبة لى شكلاً من ذلك السباق الذى يجد فيه العداء ان الوصول الى ابعد ما يمكن هو النهاية الوحيدة للسباق لذلك اسعى الآن ان لا اتخلى عن الكتابة وعو ما يتطلب منى معادلة صعبة احد طرفيها المطالعة وطرفها الآخر الكتابة الادبية .

2 - س : ما هى الادوات التى تستعملها فى كتابة القصة القصيرة . وهل لك تقنية معينة تعتبرها سر المهنة .

ج : لا اعتقد ان فى الكتابة سرا ما بل تبدو لى الكتابة هى العملية الاسذج من غيرها لانها تتطلب تجهيزا بسيطا . ويمكن ان تقف عند منتجها فقط . ولكن التقنية الادبية ضرورة ومن المؤسف ان لا يتوصل الانسان الى ضبطها مسبقا عند الحديث عن عملية الكتابة وذلك انها لا تخضع للميكانيكية التى تجعل منها مجرد اسلوب لذلك يحدث دائما ان اتعلم الجديد من خلال كل قصة اكتبها لاني اشعر عندها ان موقف الكاتب هو كموقف الثور الاسبانى الذى يدخل الحلبة ويكون لا يعرف اى شىء عن تقنية الصراع الذى سيصبح طرفا فيه ثم يكتشف كل حركة يواجه بها الفارس درسا يمكن ان يفيد فى الصراع الموالى (لذلك يقول هيمنفواى عن الثيران التى لم يجهز عليها فى اول مقابلة انها اخطر من غيرها) وبنفس الشكل يكون الكاتب يتعلم من خلال تجربته وعندما يجتر كل ما زودته به المطالعة يمكنه ان يضع تجربته فى المقام الذى تاتي فيه وعندما يتحاور مع غيره او يحدث النقد فقد يتوصل الى ان ينظر الى انتاجه وانتاج غيره باكثر من عين واحدة . وعندها يصبح الاثر الادبى كتلك المرأة المتعددة الفصوص العاكسة لابعاد متعددة وهو ما يكسب الكتابات الادبية مستوياتها المتعددة ونسبيتها المكثفة .

للخروج من هذه العموميات وحصر الحديث فى القصة القصيرة ارى ضرورة توفر عناصر او سمات تنسم بدرجة ما من الثبات فى نطاق هذا النوع الادبى الذى تتعدد فيه الانماط بتعدد التجارب وباشتغال تلك التجارب على عدد اكبر من هذه السمات القارة او شبه القارة . فالقصة القصيرة - كما تبدو لى - تكون فى حاجة الى « حدث » ما . والحدث بدوره يتطلب ابعاده الاربع (الفضاء والزمن) بالاضافة الى الشخصيات لكى يصبح حدثا . لذلك يكون من الصعب جدا تصور قصة قصيرة تخلو من الحركة حتى وان كانت « قصة شيئية » تقف عند حد وصف الاشياء لان الاشياء نفسها ترتبط بعلاقات فيما بينها فى هذه الحالة .

وعند الحديث عن احداثيات الحدث (الفضاء والزمن) يمكن تصور اكثر من الفضاء الواقعى واكثر من الزمن الطبيعى المسترسل . وعند الحديث عن الشخصيات يمكن التوسع فى فهم الشخصيات باعتبارها كل ما هو محور الحركة . اما الحركة فهى ليست مجرد افعال بل هى ايضا حالات تحول تتغير من خلالها احداثيات الشخصيات . وكل من الفضاء والزمن

والشخصيات يمكن ان يخضع لتنوعات متعددة تنعكس من خلالها الاصناف الادبية والمدارس الادبية .

3 - س : كيف يتم عندك الاسقاط المضموني

ج : المضمون في الاساس هو البذرة لذلك ينمو ويتشكل باعتباره صورة من احتمالات متعددة لوضع حدث ما . وذلك لا يتم صدفة ولا يتم اعتباطا ولكنه يتم في توازن مع طبيعة الحدث ونسق الحركة وابعاد الشخصيات . لست ادري هل ان ذلك يحدث للآخرين ايضا ام لا اذ اجد ان اى مضمون يمكن ان يتجسم باحتمالات لا تحصى . وما يحدث عند الكتابة هو ان الكاتب يجد من تلك الاحتمالات باختياره تقنية معينة واسلوبا خاصا يبرز به ذلك المضمون وبذلك تصبح تلك الاحتمالات المتعددة غير ذات اهمية بالنسبة للكاتب اذ يعتبر ان تعبيره الذي جسم به الاثر الادبي هو الانسب ؛ فعملية الكتابة تحد اذن من احتمالات تجسيم المضمون الذي يمكن ان يحمله الاثر الادبي . ولعل من محاولات اكساب الاثر الادبي ابعادا اخرى مده بالبعد الرمزي أو البعد الایحائي ولعل في إعادة كتابة الاثر الادبي تحقيقا لاحتمال لم يبرز في الكتابة الاولى . ويحدث ان يتحدث النقاد عن « الاثر الادبي السطحي أو المسطح » ويكونون يعنون به % « الاتجاه الواقعي التصويري » ولكن يحدث ايضا ان يتحدث بعضهم عن « الكتابة الرمزية » ويكون يراد منها « الكتابة المنغلقة » او « الكتابة الغامضة » وعندما يبحث مفهوم « الانفلاق » او « الغموض » يتبين ان ذلك لا يتأتى من صعوبة أسلوبية ولكن الانفلاق يمكن فى مستوى وضع « العلامات » للقارىء لكى يدرك غائية الاثر الادبي . واذا اهمل الكاتب وضع مثل هذه العلامات التى قد تكون ايحائية او رمزية او فى شكل وضع علاقات بين الشخصيات او بين الكلمات فان « البلاغ » الذى يحمله الاثر الادبي يبقى فى مستوى ذهنية الكاتب ولا يتجاوزه الى القارىء . ومن هنا كانت « شكلية الكتابة الادبية » فى كونها ليست مجرد « اسقاط ميكانيكى » لكلمات بل « ترتيب » لها يقوم به الكاتب لكى يقيم علاقات متعددة الاتجاهات بين الاثر الادبي من ناحية وبين قارئه من ناحية اخرى وفى نفس الوقت يكون الاثر الادبي « انعكاسا » لنفسية الكاتب وتكوينه من خلال ردود فعله الاجتماعية الفكرية ازاء معطيات وسطية . ومثل هذه العلاقات المتعددة الاتجاهات والمستويات

ذات الازمنة المختلفة هي التي تجعل الكتابة الادبية « خلقا » يمتاز بالتعدد عند التفسير وبالروعة عند التحليل والفهم .

4 - س : في قصصك محطات ترجيع .

هل تستعمل هذه المحطات للتركيز ام

للانطلاق ام لغرض آخر .

ج : اذا كانت محطات الترجيع التي تعنيها هي تلك الكلمات أو المواقف التي تعود من حين لآخر في مواقف تبدو مختارة أو تلك الشخصيات التي تنتهي إلى مواقف ما تنتهي عندها حركتها لكي تبدأ حركة غيرها فإن في هذه المحطات البعض من تلك « العلامات » التي تحدثت عنها سابقا والتي تمكن القارئ من تحسس نمطية تفكير الكاتب تجاه مشكل ما . وطبعاً في مثل تلك العلامات منها ما يكون للتركيز ومنها ما هو للربط ومنها ما هو للمقارنة « من نوع (I) يساوي أو أكبر أو أصغر من (ب) و (ب) يساوي أو أكبر أو أصغر من (ج) فإن (I) يساوي أو أكبر أو أصغر من (ج) ... » وقد يكون منها ما هو للانطلاق عندما تكون الحركة تتطلب تواسلاً ولكن منها أيضاً ما هو لانتهاء مع غاية المقارنة مع ما سبق . وطبعاً الحديث دون إيراد مثله قد لا يفي بالحاجة ولكن المجال لا يتسع لذلك .

5 - س : ما هي عناصر الإيحاء التي

تعتمدها في قصصك . وكيف تتعامل معها

أسلوبياً .

ج : عناصر الإيحاء تكون متجسمة حسب نظري في نمطية الحركة أو نمطية الشخصية وذلك ما يكسب الأثر الأدبي تلك الإيحائية التي تتجسم في أحد المواقف التالية :

- التوازي (بين الحركات أو بين الشخصيات) وهو إما مرحلي أو حدثي .

- التطابق (بين الحركات أو بين الشخصيات) وهو إما جزئي أو كلي .

- التعاكس (بين الحركات أو بين الشخصيات) وهو إما موقفي أو حدثي .

فالتوازي (أو التطابق أو التعاكس) الحركي قد يخضع له عدد من الشخصيات ذات مميزات خصوصية لكنها من خلال حركتها تلك تتصرف

بنفس الشكل في حالتى التوازى والتطابق وبشكل متعاكس فى حالة التعاكس نمطية فى اطارها ذاك .

اما التوازى (او التطابق او التعاكس) بين الشخصيات فهو مجموعة من المميزات تنتمى الى تلك المجموعة .

وفى كل من حالتى نمطية الحركة ونمطية الشخصية تكون الاوصاف او الافعال هى التى تعكس مرحلية نمطية الحركة ونمطية الشخصية تكون الاوصاف او الافعال هى التى تعكس مرحلية الحدث او موقفيته او كليته من خلال علاقة ما يسعى اليها الكاتب بين شخصية واخرى او بين حركة واخرى والغاية من تلك العلاقة هى ابراز التوازى او التطابق او التعاكس الذى يمكن ان يحدث عندما يتغير الزمن او تتغير الشخصية او تتغير معطيات الحركة . وفى هذه الحالة يكون لاعادة بعض الكلمات او لاسبابها معانى مزدوجة الكثير من الاهمية فى ابراز الفكرة التى يسعى اليها الكاتب .

6 - من : معدل القصة الواحدة فى
مجموعتك الاولى « لعبة مكعبات الزجاج »
سبعة صفحات وفى مجموعتك الثانية « زمن
الفران الميكانيكية » 15 صفحة .

كيف تعلل هذا التطويل الادقائى فى
النوع .

ج : رغم انى لم ارتسا هذا التطويل ورغم ان غايته لم تكن فى يوم ما تفسير كتاباتى حتى وان كان ذلك يهم عدد صفحاتها الا انى اعتقد ان هذا التطويل قد يكون يعنى حاجة تعبيرية وقد يكون يعنى اشياء اخرى لا ادركها لكن اجد ان القصة مهما كانت مكثفة فان تركيزها لا يعوض ابدا تعدد الحركات فيها (الحركة = الموقف الحدثى) لان فى تعدد الحركات ما يمكن الكاتب من اضافة نصوص اخرى الى تلك المرأة المتعددة الوجوه التى تحدث عنها فى البداية وهو ما يكسب القصة مستويات اكثر تعددا عند التحليل او القراءة .

7 - س : هل للرقابة الذاتية تأثير على مضامين قصصك واساليب الاداء فيها .

ج : طبعا اذ لو لم يكن ذلك صحيحا لما كنت انتمى الى ذلك الجيل الذى وصفت كتاباته بالغموض وبالرمزية وبالايحائية ايضا . وكانت هذه الظاهرة قد نبتت من داخل « نادى القصة » منذ أحس احدنا ان هناك « ما يقال وما لا يقال » واحس غيره ان « للحكاية وجه آخر » وتحدثت انا عن « زمن الموت والجوع والثورة » وانتهى احدهم اخيرا الى انه زمن « الخرس والعلاقات المتوترة » . والامر ليس فى حاجة الى الكثير من التلاعب بالكلمات لان فى عناوين قصص هذه المجموعة من الكتاب ما يعكس الكثير من « صخب الصمت » ومن « الفضاء الضيق » ومن « البعد الآخر » ومن « الانسان الصفر » وفى وقتها اى فى بداية السبعينيات بدت هذه الكتابة الايحائية كبديل نفسى جماعى اعتدت اليه المجموعة كما يهتدى الوليد الى الصباح الاضطرابى للتنفس عند الولادة . وكنا فى تلك المرحلة ندرك ان القصة الرمزية التى يمكن ان تكتب فى تونس لن تكون ابدا صورة للقصة الرمزية فى شكلها المدرسى الغربى لان ايماننا بضرورة الشهادة على عصرنا او محاكمته كان كبيرا لذلك قيل الكثير عن الرمزية فى القصة التونسية القصيرة التى كتبت فى تلك المرحلة كما ساعد البعض من كتاب هذه القصة فى تصعيد النقاش حولها اما بكتاباتهم التى فيها الجيد والاقبل جودة او بطرح نقاشات حول التعريفات التصنيفية للقصة وحول ماهية الكتابة وجدواها وغايتها ومن وراء كل ذلك تعددت مواقف الالتباس بتعدد مواقف الاشخاص وغاياتهم وبذلك اضاف بعض كتاب القصة الى مجموعة مركباتهم النفسية « مركب عدم الفهم او عدم (ليس غريبا ان تحمل احدى القصص عنوان « الفهم يا روحى ») وقد يكون ذلك اصبح عقدة عند بعضهم يحملها كما يحمل عقدة « هامشية الكاتب » . ولكن الرقابة الذاتية تبقى رغم كل ملاسبات العشرية الماضية ضرورية اليوم كما كانت من قبل لكل كاتب لكى يتحسس وظيفته الفكرية ولكن ليس ضروريا ان يصنع منها ذلك الكابوس الذى يتهاى له فى كل جوانب تفكيره عندما يطرح افكاره للآخرين فى شكل كلمات .

8 - س : انت في نادي القصة من العناصر
البارزة في تحليل ونقد القصص التي تقرا
ولك في هذا الميدان كتابات ثرية . كيف
دخلت باب النقد .

ج : النقد كنوع من الكتابة الادبية يخضع لمعطيات اصلية يجب ان تتوفر
في تكوين الانسان الناقد لكى يقال عنه بعد ذلك : انه ناقد كما يقال عن
القصاص انه يكتب القصة . ولعله من المؤسف ان لم يصبح النقد الادبى
يخضع لشهادة جامعية .

بصراحة انا لا أستطيع ان افسر الدافع الذى جعلنى اكتب كتابة نقدية
(وكذلك لا يعنى ابدا انى قد أصبحت ناقدًا) كما لم استطع في البداية تفسير
صفتى بكاآب قصة لكن اعتقد ان الكتابة الادبية مهما كان نوعها هي موقف
قبل ان تكون اى شىء آخر ويكون هذا الموقف هو واجهة الكاتب التي
يعكس بها ردود فعله تجاه الاشياء وتجاه الآخرين في الوقت الذي تكون فيه
هذه الكتابة موقفا يعكس نفسية الكاتب ومزاجه وتكوينه .

ولعل اقل المواقف استثناءا أو أكثرها مباشرة الكتابة النقدية لانها
تتناول بالدرس اثرا محدود الاحتمالات ما دام مكتوبا . وانطلاقا من هذا الاثر
الادبى يسعى الناقد الى ان يثبت للآخرين - في حدود قدرته التعبيرية
الاقناعية وانطاقا من المنهجية التي يختارها - ان الزاوية التي ينظر منها
لذلك الاثر الادبى هي الاسلم من غيرها في الحكم عليه . لذلك يصادف عادة
ان يختلف النقد ولذلك كثيرا . ما يوصف النقد عندنا بالانطباعية
والارتسامية والارتجالية والانحياز او المجاملة هذا ان لم يوصف بأنه ليس
نقدا . ولكن من الثابت ان صحفنا ومجلاتنا والاطروحات الجامعية التي تحلل
الاثار الادبية التوسسية لا تخلو من كتابات يريد بها اصحابها نقدية . ولعل ما
ينقصنا هو الناقد الذي يملك نفس عداء المسافات الطويلة والذي يملك ايضا
منهجًا واضحا يلتزمه من خلال كتاباته ويكون اقرب ما يمكن الى الموضوعية
الحيادية . ولا اظن ان الحكم بغياب النقد يمكن ان يحجب كل ما يكتب في
هذا المجال او انه يمكن ان يثريه واعتقد ان الكتابة النقدية في بلادنا في
حاجة الى ذلك الحضور الذي يفرض نفسه وذلك ما يتم عن طريق الكم
الواسع العريض على مستوى المجموعة وبالمداومة والتطور على المستوى
الفردى . وعندما يتوفر ذلك يمكن ان يحكم عن قيمة الكتابات الادبية .

ولعل الكاتب الادبي اقرب الناس الى الكتابة النقدية لما تمكنه منه خبرته (الاطلاع والممارسة) من درجة على فهم الاثر الادبي وتحليله ولكن الشرط الاولى لكى يكون الكاتب ناقدا هو تمكنه من منهج نقدي واضح لما لاثر ذلك المنهج على فهم النص الادبي اذ ان الناقد يتسلط بمنهجه على النص الادبي بكل ما فى ذلك التسلط من عدوان ورغبة فى التمهيص (نفي ومحاولة اثبات فى نفس الوقت) وتحليل واعادة خلق .

اذا كنت فى حاجة الى الحديث عن تصورى لنقد القصة لكى ابرر تطفلى على النقد فاستطيع ان اقول : انى اسعى دائما الى ان افهم الآخرين ان تناول الاثر الادبي يكون اكثر موضوعية عند الانطلاق من معطيات النص الادبي لابرار مميزاته الاساسية تقنيا واسلوبيا . وعندما يتم تحليل الاثر الادبي الى مقوماته ويتم توضيح العلاقات التى تربط شخصياته وحركاته فعندها يمكن وضع ذلك الاثر الادبي فى مكانه الذى يأتى فيه بالنسبة لانتاج الكاتب ثم فى الوسط الذى ينحصر فى نطاقه بالنسبة للنوع الادبي الذى ينتمى اليه وعندما فقط يمكن تصنيفه ويمكن مقارنته بغيره من الاثار الادبية الاخرى التى تنتمى الى نفس النوع ونفس الفصيلة ونفس النمط ، فالنقد القصصى كما اراه تحليليا فى البداية تأليفيا بعد ذلك ثم مقارنا فى النهاية وطبعا لكل من هذه المراحل الثلاثة معطياتها وقوانينها لكى تكون وظيفية فى ابراز مقومات النص الادبي وتحديد انتماؤه .

9 - س : كيف تفسر تهرب الكتاب عندنا من ممارسة النقد ومن تقبله .

ج : اما ممارسة النقد فتتطلب حاجة ما يشعر بها الانسان تدفعه الى تبليغ افكاره حول موضوع معين السى غيره ولكنها ليست نفس الحاجة التعبيرية التى يشعر بها الكاتب لانها تتقيد بشروط وتحمل صاحبها مسؤولية تفسير النص الادبي وتتبعات ذلك التفسير . وهذه الحاجة التبليغية قد لا تتوفر عند كل الكتاب . ولحسن الحظ ان لم يكن كل الكتاب نقادا لان ذلك يحرمانا من جزء من انتاجهم الخلقى . فالكاتب الادبي من خلال عملية الخلق يقف فى حدود التأليفية بين الاحداث ولا يكون مضطرا للتحليل ثم التصنيف وهو ما يجعل النقد يبدو بالنسبة لكاتب من هذا النوع اما تعقيدا او تهمشيا . وبذلك يمكن ان نفهم لماذا كان نقد بعض الكتاب الذين

يقفون عند المرحلة التحليلية للنص الأدبي استعراضيا ارتساميا أو سطحيًا .
وكم ينسى الناس أن النقد هو طريقة منظمة في التفكير والكتابة تتطلب
درجة ما من الاطلاع ثم الاختصاص .

أما تقبل النقد فيطلب من الكاتب اعتبار إنتاجه الأدبي من جملة
المعروضات التي يضعها تحت طلب الجميع . وإن كان هناك من يتهرب من
تقبل النقد فلأنه يتصور نفسه بقدرته على الخلق الأدبي مركز العالم ينشئ
الاشياء التي لا يأتيناها النقص من أي جانب . وعندما يضاف إلى هذا التصور
رصيد بعض الكتاب من المركبات النفسية الأخرى فإن النقد يصبح استنقاصا
ويصبح الحوار لاغيا وقد كان النقد دائما حوارا غير مباشر وغير مقصود في
حد ذاته .

10 : س : التعامل مع الأدب اسهل من

التعامل مع الادباء وأحمد ممو متزوج بادية

في شخص الاستاذة زهرة الجلاصي .

الا تعتقد ان الزواج بين اديب وادبية لا

يكون الا على حساب هذا او تلك ام ان كل

واحد منهما ضحية الآخر .

ج : طبعًا التعامل مع الأدب اسهل من التعامل مع الادباء لان الادب

« بعض » مرة واحدة أما الادباء فكلما تحلبت اشدقهم من جراء الكلمات زادت
شهيتهم لنهش غيرهم او بعضهم . ولكن ذلك لا يعني ان الادباء فئة ذات
ميزات تجعل منهم ذلك النوع الذي لم يصنفه « داروين » بل هم مخلوقات
تتنفس الهواء الذي يلوثه الآخرون ويتحملون نصيبهم من المتاعب بالإضافة
إلى تلك التي تجرها لهم الكتابة . وعندما يحدث أن يلتقى شخص يحمل
صفة الأديب مع امرأة من نفس الصنف ويقرران اتمام شوط ما من حياتهما
معا فإن آخر ما قد يفكران فيه ان الأدب يمكن ان يجعل حياتهما اقل متاعب
وفي الواقع فإن أيا منهما لا يكون ضحية الآخر بل هما معا ضحية ذلك الشيء
الذي نقول عنه انه « المكتوب » والذي يعني كل الأشياء التي لا نرغب في
تفسيرها لانه اعمق من ان ندرك تدخلاته .

11 - س : ايهما اسهل عليك التعامل مع الادباء او مع غيرهم من الناس .

ج : عندما ندرك ان الادباء لا يتميزون عن غيرهم الا ببعض العقد النفسية التي لا تمكن من وضعهم وراء القضبان (قضايا السجن او قضايا حديقة الحيوان) وبقدرة خاصة على الاعتراف من خلال كتاباتهم فان التعامل مع الادباء يصبح اسهل ومن المؤسف ان يكون الادباء لا يتقصون شخصيتهم الادبية دائما اذ غالبا ما يبرزون في صورة الناس الآخرين . ومن المؤسف ان لا يستطيع الانسان ان يتعامل مع الادباء فقط اذ لو تم ذلك لما كان للمادة الطغيان الذي نعرفه اليوم في حضارتنا . ويحدث ان يكتشف الانسان كم هم الادباء في حاجة الى الفهم « الفهم يا روى » لانهم ينهشون لمجرد « الضرورة الادبية » التي تجعلهم يعيشون ثنائية واقمهم وافكارهم ويتوقعون في كل لحظة امكانية اعادة بناء العالم .

12 - س : ماذا ترجو من وراء اشتغالك بالادب .

ج : التخلص من الاشياء الاخرى التي تشغلني
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

13 - س : هل تعتقد ان لكتاباتك جدوى على المستويين الوطني والقومي .

ج : لست ادري هل انك ممي في ان اثبات الوجود لم يعد يتم اليوم عن طريق البطولة وتحرير الشعوب من الاستعمار بل عن طريق نشر التلوث . وقد تكون الكتابة تصنف اليوم في قائمة الملوثات ولكنها بالنسبة لي اثبات للوجود . بقي كيف تبدو للآخرين ذلك ما اترك الحكم عليه للآخرين .

14 : س : هل تعتقد ان الكتابة الادبية ستحافظ على اشكالها العالية .

ج : عادة ما توصف الكتابة الادبية بالتنطور والتحول . وذلك يعني انها قابلة للتأثر الوظيفي ايضا . لذلك ارى انه عوض التساؤل عن امكانية محافظتها عن اشكالها العالية يكون من الاجدر التساؤل عن مدى امكانية

محافظة على اشكالها الحالية يكون من الاجدر التساؤل عن مدى امكانية استمراريتها امام الزحف الذي تمثله الوسائل السمعية البصرية الاخرى التي توفر للانسان مزيدا من حظوظ التكاسل عند التلقى . ولذلك ايضا اعتقد ان ما هو ذو اهمية اليوم هو توظيف الكتابة ثقافيا لان الاشكال الادبية تكون دائما ايضا صورة للعصر وتخضع لقانون البقاء للاصلح .

15 - س : اي نوع من الانواع الادبية في اعتبارك قابل للديمومة . ما هو في نظرك ادب المستقبل .

ج : اعتقد انه ما بقي الانسان انسانا فانه يبقى في حاجة الى ان ينظر الى ملامحه في المرأة والى نفسيته فيما يعكسها . وليس افضل لذلك من الادب لذلك يكون بقاء الادب مرتبطا ببقاء الانسان . وذلك يعنى ديمومة نسبية . اما النوع الادبي الانسب لذلك فهو ما يبقى مرتبطا بمدى قدرة الانواع الادبية الراهنة او المستقبلية على الاستجابة لحاجيات تفكير الانسان لذلك يكون ادب المستقبل هو ذلك الذي يتوصل الى ان يؤله الانسان دائما انطلاقا من معطياته المتسامية الى العقل وحب الخير والعدالة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

على هامش الاستجواب :

أحمد ممو : هو احمد بن محمد ممو من مواليد قرية تمزرت بالجنوب التونسي سنة 1949 . بدأ تعلمه الابتدائي بالقرية ثم نزح الى العاصمة حيث كان أبوه عاملا يوميا بها . واصل تعلمه الثانوى بعدد من اماهد في تونس . الى ان أحرز البكالوريا علوم في جوان 1968 .

دخل كلية العلوم التابعة للجامعة التونسية ، وحصل على الاجازة في العلوم الطبيعية . تخصص في علم طبقات الارض تخصصا اول ، ثم في المياه الجوفية التي أكمل فيها دكتوراه الحلقة الثالثة بجامعة باريس .

وهو يشتغل الآن مهندسا اول في مصلحة المياه والتربة التابعة لوزارة الفلاحة . بدأ احمد ممو يعالج الكتابة القصصية سنة 1966 وقدم انتاجه

الى برنامج هواة الادب بالاذاعة التونسية آنذاك . واستمرت مشاركته حتى سنة 1968 .

نشر قصصه ومقالاته بعد ذلك في الجرائد اليومية والاسبوعية (الصباح الصدى ، العمل ، المسيرة) وفي المجلات (الفكر ، قصص ، ثقافة ، الاذاعة والتلفزة ، الاقلام العراقية) .

الكتب المنشورة له في الميدان الادبي :

- لعبة مكعبات الزجاج ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، 1974 .
- زمن الفئران الميكانيكية ، دار صفاء للنشر ، تونس ، 1980 .

الكتب الموجودة تحت الطبع والمخطوطة :

- دراسة عن القصة التونسية المعاصرة . (الدار العربية للكتاب) .
- رواية بعنوان صيفيات الحنين المتحول (شركة صفاء للنشر) .
- تحقيقات ودراسات علمية في الجيولوجيا والجغرافيا ومصادر الماء